بروفسور شاؤول مشعال*

فكرة إقامة أول كيبوتس عربي في اسرائيل: «الأخوّة».. كيف نشأت وكيف فشلت؟

أقيم الكيبوتس العربي «أخوة» في ضواحي مدينة اللد العام ١٩٤٩، وحُلّ في غضون العام ١٩٥١. المرة الاولى التي سمعنا فيها عن هذا الكيبوتس كانت في العام ١٩٩٢ وذلك على لسان «أبو رجب حسونة» المتحدر من عائلة أصحاب بيارات عريقة في اللد، والذي كان في تلك الأيام فتى يافعاً في السابعة عشرة. لقد عرف «أبو رجب» عن قرب الاشخاص الذين وقفوا وراء الفكرة وبذلوا جهداً من أجل وضعها موضع التنفيذ. وكانت عائلة «ابو رجب» قد أقامت بتشجيع من الهستدروت جمعية تعاونية عملت في مجال تسويق الحمضيات.

في العام ذاته (١٩٩٢) تعرفنا على عدد من الاعضاء السابقين في الكيبوتس العربي والذين كانوا عندما أُحتلت اللد شباناً في العشرين من اعمارهم. ذهبنا للبحث عن الكيبوتس الذي أُقيم على الطريق المؤدي إلى «بن شيمن» واكتشفنا ان الساحة لا تزال قائمة على حالها، تتوسطها شجرة توت ومن حولها منازل عائلة عمر الزناتي الذي كان من مؤسسي الكيبوتس. في الوسط انتصب مبنى قديم استخدم معصرة للزيت، فيما قبعت في احدى زوايا الساحة العَجَلة (العربة) التي استخدمت في أعمال الكيبوتس.

هذا الكشف بشأن وجود كيبوتس عربي قادنا إلى بحث وتحري الظروف التي أحاطت باقامته والتحري عن الاشخاص الذين انخرطوا في المحاولة لتحويل الفكرة إلى واقع ملموس. عثرنا في ارشيف لافون على مجموعة من ملفات الدائرة العربية في الهستدروت من تلك الفترة. في مكاتب الدائرة العربية في مقر اللجنة التنفيذية للهستدروت لم نعثر على شيء، إذ تبين ان جزءاً كبيراً من الوثائق قد فقد. كذلك فان البحث في ارشيف كيبوتس «نعان» الواقع على مقربة من الكيبوتس العربي، لم يتكلل بأية نتيجة. الاشخاص الذين كان لهم دور في اقامة الكيبوتس، مثل أهرون كوهن، اسحق اسحاقي وموشيه آرم توفوا، وبالتالي

* محاضر في جامعة تل أبيب – قسم العلوم السياسية.

فان من تبقى يتيح فقط تكوين صورة جزئية ومشوشة بالنسبة للشخصيات اليهودية والعربية التي وقفت وراء الفكرة. في «ياد يعاري» و«ياد تبنكين» حفظت الارشيفات الخاصة بعدد من الشخصيات التي شاركت، او كان لها دور واسهام في انشاء الكيبوتس، وقد اشتملت هذه الارشيفات على مادة غنية عن الأمزجة والأفكار التي دارت حول تلك المباردة.

نود هنا ان نبدأ برسم الخطوط الاساسية، وتقصي الدوافع والملابسات التي وقفت في صلب القرار باقامة كيبوتس يتألف من اعضاء عرب، ومن ثم سنتحرى عوامل وأسباب فشل المشروع. وسوف نتبع لهذا الغرض المضامين الفكرية والسمات البنيوية للكيبونس (العربي) وسنحاول الوقوف على طابع علاقاته مع الكيبوتسات الاخرى. كذلك سنحاول فهم الكيفية التي جرت فيها حياة الكيبوتس وماهية المؤسسات التي عملت فيه؛ كيف تعاطى اعضاء الكيبوتس العرب مع فكرة الشراكة في الممتلكات وفكرة التساوي في الحقوق والواجبات؛ بم اتسمت شبكة العلاقات الداخلية في الكيبوتس؛ ما هي نوعية القيادة التي نشأت وكيف تعاملت مع الخلافات في الآراء؛ ما هي أنماط التنظيم وأساليب الإدارة التي اتبعت؛ كيف عومل الكيبوتس من جانب الكيبوتسات الاخرى وما مدى التعاطف والتأييد الذي أثاره في أوساط الجمهور العربي واليهودي.

هذا البحث له اهمية تتعدى السياق الملموس، أهميته تتصل بمنظومة المبادئ والقيم، الاشتراكية والأممية من جهة، والتوجهات القومية من جهة اخرى، وبالتناقض الذي ساد بينها وانعكاساته على مواقف هذه الاطراف تجاه بعضها البعض وعلى طبيعة العلاقات التي نشأت بينها.

خلفية، دوافع وملابسات

ما زال مسجد «دهمش» وبعض أشجار السرو المعمرة في أطراف اللد تنتصب كشواهد غير ناطقة، صماء على الأحداث التي وقعت في المدينة في الثاني عشر من تموز العام ١٩٤٨، والتي دفعت باتجاه اقامة الكيبوتس العربي. وكانت اللد قد أُحتلت على يد الجيش الاسرائيلي خلال معارك «الأيام العشرة» التي اندلعت فور انتهاء الهدنة الأولى في الثامن من أيلول. وقد شكلت اللد في ذلك الوقت ملاذاً للاجئين الذين توافدوا من يافا والقرى المجاورة، ولذلك فقد وصل عدد سكان المدينة إلى حوالي ٣٠ ألف نسمة. وبحسب ما نصت عليه خطة التقسيم التي أقرتها الأمم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني العام ١٩٤٧، فقد كانت اللد تقع خارج حدود الدولة اليهودية، اما سكانها العرب فقد وضعوا ثقتهم في الجيش العربي الاردني معتقدين انه سيتولى حمايتهم والدفاع عنهم. ولكن حتى بعد انسحاب عناصر الجيش الاردني من اللد في ١٣ تموز ١٩٥٠، ظل سكان المدينة متشبثين ببيوتهم. مساء يوم الحادي عشر من تموز (١٩٥٠) قامت وحدات من الكتيبة الثالثة في لواء «يفتاح» التابع لقوات «البلماح» باقتحام المدينة. وفي الصباح انتشرت الكتيبة حول وسط المدينة، فيما ظلت قوة صغيرة من جنود الجيش الاردني تتمركز في مقر الشرطة. فرض الجيش الاسرائيلي نظام حظر التجول على المدينة وقام باقتياد وجمع الرجال في المساجد والكنائس. في مسجد «دهمش» أُحتجز بضع عشرات من الرجال [١].

في ساعات الصباح من يوم الثاني عشر من تموز أُنتهك الهدوء، حيث اقتربت عربتان مصفحتان من قوات الجيش الاردني باتجاه المدينة من الجهة الشرقية، وفجأة أطلقت قذيفة صوب دورية (اسرائيلية) على مقربة من المسجد، ما أسفر عن مقتل جنديين واصابة ١٢ آخرين بجروح. سكان المدينة الذين اعتقدوا ان قوات الجيش الاردني جاءت لتحررهم انطلقوا إلى الشوارع وشرعوا باطلاق النار باتجاه الجنود الاسرائيليين. على إثر ذلك قام الجنود باطلاق النار باتجاه الجنود الاسرائيليين. على إثر ذلك قام الجنود باطلاق النار على السكان المحليين بما في ذلك على الرجال الذين احتجزوا داخل مسجد دهمش، ما أسفر عن سقوط عدد كبير من القتلى والجرحى. في اليوم التالي طُلب من بقية السكان مغادرة المدينة باتجاه الشرق. غير ان عدداً من العائلات المسلمة التي أقامت أو اختبأت في بيارات المنطقة نجحت في الإفلات من أمر الطرد، كذلك أمكن لعائلات مسيحية البقاء في المدينة بفضل علاقات معرفة وصداقة مع بعض اليهود. ومن بين العائلات التي نجحت في البقاء بالمدينة: «حسونة» و«النقيب» و«أبو منى» و«المنير» [٢].

وقد تجمع في الحي العربي، الذي نزح عنه سكانه اثناء

المعارك التي دارت حول السيطرة على المدينة، مئات اللاجئين الفلسطينيين الوافدين من قرى جنوب وشمال البلاد، وغالبيتهم وصلوا إلى اللد خلال الاشهر التي تلت احتلال الجيش الاسرائيلي للمدينة وذلك لسد النقص في الأيدي العاملة، والذي نشأ نتيجة طرد غالبية السكان العرب الذين عمل قسم كبير منهم في المستوطنات المجاورة للد مثل «ريشون لتسيون»، «نس تسيونا»، «رحوبوت» و«غديرا». كانت هناك عدة جهات تتولى معالجة شؤون العمال العرب ومنها منظمة «بباي» «بريت بوعلي آرتس يسرائيل» [تحالف عمال أرض اسرائيل] [٣] والتي تولت الاهتمام بظروف عملهم واحوالهم الاجتماعية، ومسؤولو الدائرة العربية في الهستدروت. الياهو أغاسي ويعقوب كوهن وداڤيد عيون، حيث ساعد هؤلاء في استصدار تصاريح عمل للعمال الذين قدموا إلى اللد من مناطق مغلقة خاضعة للحكم العسكري، بالاضافة إلى وزارة الأقليات برئاسة الوزير بخور شطريت الذي تكفل باصدار التصاريح اللازمة لمكوث العمال في اللد.

شماريا غوتمان، وهو أول حاكم عسكري لمدينة اللد، تدخل او ساهم بدوره في عمل ونشاط رجالات الدائرة العربية في الهستدروت وناشطي حزب «مبام» في اللد الذين عملوا في مجال تجنيد لاجئين من قرى المنطقة للعمل لدى اصحاب بيارات يهود من «ريشون ليتسون» و«نيس تسيونا» و«رحوبوت». كذلك فقد سهل الحكم العسكري الذي تم الغاؤه في اللد منذ نهاية العام ١٩٤٨، خطة رجالات الهستدروت الرامية لجلب عمال عرب وتجميعهم في المدينة ليحلوا مكان سكانها الذين اضطروا للنزوح عنها. وقد اقيم لهذا الغرض معسكر عمل لايواء هؤلاء العمال. هذا المعسكر الذي سماه العمال «كامب» أُقيم في البيوت التي نزح عنها السكان العرب الذين أقاموا في الحي الشرقي من المدينة.

معسكر عمال

تعود بداية هذا المعسكر إلى شهر تشرين الثاني ١٩٤٨، حيث أقام فيه في الشهر ذاته ١٥٠ عاملاً من لاجئي المجدل (التي اصبحت لاحقاً «اشكلون» – عسقلان) التي احتلتها قوات الجيش الاسرائيلي، عملوا في قطف الحمضيات في بيارات المنطقة. وفي الشهر التالي (كانون الاول) وصل ٢٢٠ عاملاً آخر من عكا ومحيطها [٤]. وقد تكشفت منذ البداية ثغرات وأخطاء في ادارة وتعريف شؤون معسكر العمل على مختلف الاصعدة، المبيت والأجور وانعدام خدمات المياه والكهرباء، كما ان ضرب وتعنيف واهانة العمال وتفتيش امتعتهم اضحت كلها ممارسات روتينية في المعسكر [٥]. في شباط ١٩٤٩ نوقشت هذه الأوضاع من قبل الياهو أغاسي واسحق اسحاقي وكلاهما من قادة حزب «بوعلي تسيون – سمول» المنضوي في اطار «مبام» [٦]. وقد لفت الاثنان انتباه موظفي وزارة العمل إلى الثغرات الخطيرة القائمة في أنظمة المعسكر والتي هددت استمرار وجوده. على إثر ذلك تقرر اجراء تغييرات تنظيمية سمح بناء عليها لعمال المعسكر بتشكيل لجنة تتولى تمثيلهم، وكان بين اعضائها عمر الزناتي، احمد حنبلي، توفيق الزعبي وسميح قاسم.

بيد ان اقامة اللجنة لم تسهم، كما اتضح، في تحسين الوضع الذي ساد في المعسكر. وبدأت تسري بين العمال شائعات مفادها ان المعسكر في سبيله إلى الإغلاق [٧]. وفي الواقع فقد وافق رجالات الهستدروت في ١١ أيار (١٩٤٩) على طلب وزارة الأقليات والحكم العسكري باغلاق المعسكر. هذا الامر جاء أيضاً بالتساوي مع السياسة العامة التي تبلورت تجاه السكان العرب القاطنين داخل حدود دولة اسرائيل، والتي قضت باعادة اللاجئين إلى أماكن سكناهم أو ترحيلهم إلى مناطق تقع وراء خطوط الجبهة [٨].

تهيجت الخواطر في المعسكر اثر ما اشيع من ان منظمة «بريت بوعلي يسرائيل» تتطلع إلى اقامة معسكر عمال آخر تحت اشراف ادارة جديدة. تشكلت عقب هذا التوتر لجنة خاضت صراعاً لمنع اغلاق المعسكر. وقد اعربت اللجنة، حسب قول اعضائها، عن موافقتها على التباحث مع رجالات «بباي» حول انشاء معسكر عمال جديد، وذلك بعدما اصبح العمل في المنطقة شحيحاً، وسادت مخاوف من تحول الكثير من العمال إلى عاطلين عن العمل، هذا بالاضافة إلى ان مجموعة من العمال برئاسة عمر الزناتي، أخذت في هذه الاثناء تروج لاقامة كيبوتس يعمل كجمعية تعاونية.

وبالفعل، ففي التوجيهات التي ارسلت إلى مسؤولي الدائرة

عربي ويهودي يلعبان الشطرنج في كيبوتس العام ١٩٣٥: فيما بعد اختلفت قواعد اللعبة

العربية في اللد، جرى التطرق للمرة الاولى إلى خطة انشاء الكيبوتس كحل لمشكلة العمال من سكان المدينة العرب، وذكر ان مكان او موقع الكيبوتس «سيتقرر بالتشاور مع وزارة الزراعة» [٩]. من جهته، أعرب الياهو أغاسي، من دائرة شؤون العامل العربي التابعة للهستدروت، عن اعتقاده ان العمال المنتمين لسكان معسكر العمل وتحديداً الذين يحبذون منهم فكرة الانخراط في جمعيات تعاونية، يجب ان يبقوا في اللد حتى اذا كانوا من غير السكان المحليين، أما اذا فشلت الفكرة فان عليهم ان يكونوا مستعدين للعودة إلى أماكن سكناهم في المجدل أو الناصرة أو أي مكان آخر أتوا منه [١٠].

وقد عقبت لجنة المعسكر على ذلك في رسالة ارسلت إلى الدائرة لشؤون العامل العربي التابعة للهستدروت جاء فيها:

«أ- حسبما يستدل من رسالتكم بتاريخ ١٣ أيار، فان فكرة اقامة الكيبوتس هي مسألة مبدئية لم تطرح بعد للنقاش او البحث ولم تحظ بموافقة.

ب- نوعية الكيبوتس المقترح ليست معروفة.. فهل هو مختلط أم مستقل، وهل سيكون من نمط كيبوتس نهلال ام كيبوتس غالؤون؟ تخطيط هذا المشروع لم ينته بعد ولم تسنح الفرصة لمناقشة ذلك. واذا كان الامر لا يحتمل التأجيل فان من الواجب تعيين لجنة توجيهية او مجلس يتولى الاشراف على تنفيذ الخطة، اذ من الضروري اتخاذ قرار بشأن سير الأمور قبل البدء بالمشروع. نحن نعتقد ايضاً ان هناك حاجة لفترة طويلة من الوقت لايجاد مجموعة من العمال العرب المستعدين لتقبل وهضم الأسس التي يقوم عليها الكيبوتس وان يستوعبوا تماماً المغزى والاهداف التي تقف وراء إقامته. نحن لا نريد تشييد قصور في الهواء وانما اقامة شيء ملموس يؤمن لنا النجاح.. ونحن لا نرغب في أن يحدث لنا ما حدث لجرو الكلب الذي راح في جوعه يقضم عظمة ويتلهى بها وعندما مر ببركة ماء ورأى فيها صورته تنعكس على وجه الماء ظن انه عثر على عظمة اخرى، فألقى العظمة من فمه ليبقى جائعاً وحائراً.

استناداً لما ذكر أعلاه فانه لم يبق لنا سوى القول بأن ما قيل في شأن فكرة الكيبوتس ما هو الاّ تبرير مفضوح لابقاء نفس الاشخاص. في ١٢ أيار ذهب اثنا عشر عاملاً، فأين الكيبوتس؟

ان الفكرة في حد ذاتها ايجابية بشرط ان تعلن منظمة «بريت بوعلي ارتس يسرائيل» عن رغبتها في التعاون معنا وان تأتي بنوايا صادقة من اجل انشاء ادارة منظمة، وذلك بعد دراسة الموضوع بتمعن وتحديد اطار الميزانية اللازمة.

عندئذٍ فقط سنكون مستعدين ومدعوين للوقوف في طليعة

المنخرطين في خطط ومشاريع مجدية من هذا النوع. أما اذا لم تجر الأمور على هذا النحو فاننا سنترك المعسكر كعمال انتهى عملهم وبعد ان قام كل واحد منهم بما عليه... عندئذٍ سنعود إلى بيوتنا بانتظار تلقي دعوة جديدة من تحالف العمل» [١١].

هذه رسالة تعكس وجود صراعات قوى وشكوك متبادلة سادت بين العمال داخل المعسكر. فاللجنة التي ترأسها عمر الزناتي عملت من اجل تحقيق فكرة اقامة الكيبوتس العربي. وقد استغل «الزناتي» لهذا الغرض علاقاته الوثيقة مع رجالات الدائرة العربية في الهستدروت، وخاصة مع يعقوب كوهن، التفَّت حول «الزناتي» مجموعة صغيرة ضمت نحو ثلاثين رجلاً، في حين تخوف باقي العمال في المعسكر من ان فكرة الكيبوتس تخفي وراءها نية مبيتة للإبقاء فقط على الموالين لعمر الزناتي في اللد.

إلى ذلك فان الشهادات الموجودة في حوزتنا تظهر ايضاً ان فكرة اقامة الكيبوتس العربي لم تكن واضحة على الاطلاق لدى غالبية العمال الموجودين في المعسكر.

عمر الزناتي – الرجل والفكرة

أحد الأسباب الرئيسية وراء مخاوف عمال المعسكر تمثلت في شخصية عمر الزناتي ذاته، والذي يعود مسقط رأسه إلى قرية «عاقر». في الرابع من أيار ١٩٤٨ حاصر جنود لواء «غبعاتي» هذه القرية الكبيرة الواقعة إلى الجنوب من «رحوبوت». طلبت منظمة «الهاغاناه» من أهالي القرية الاستسلام لقواتها وتسليمها الاسلحة الموجودة بحوزتهم. سلم الأهالي نحو مائة بندقية «ستيّات» ومسدس، واقتيد ثمانية من ابناء القرية كرهائن لضمان تسليم المزيد من الاسلحة. وفي اثناء العملية وصلت وحدة من القوات البريطانية إلى القرية، ما اضطر جنود «غبعاتي» للانسحاب منها. في اليوم التالي، الخامس من أيار، هرب غالبية سكان «عاقر» إلى بلدة «يبنا» وقرية المغار. على إثر ذلك دخل جنود «غبعاتي» إلى «عاقر» فوجدوا فيها نحو ثلاثين شخصاً تم طردهم من القرية خلال بضعة أيام.

أثار طرد أهالي «عاقر» احتجاجات من جانب حزب «مبام» الذي احتفظ طوال عدة سنوات بعلاقات مع مجموعة صغيرة من اهالي القرية المنتمين لليسار والذين عبروا عن رغبتهم في التعايش السلمي مع مجتمع الاستيطان اليهودي [١٢]. كان عمر الزناتي شخصية مثيرة للجدل في مسقط رأسه «عاقر» فقد أقام علاقات وثيقة مع أشخاص يهود، خاصة من نشطاء الهستدروت، ما أثار حنق وغضب أهالي القرية الذين كانوا على صلة وارتباط مع نشطاء الحركة الوطنية الفلسطينية ومؤسساتها. كان الزناتي من نشطاء اليسار البارزين في قريته حيث أقام صلات علنية مع منظمة «هشومير هتسعير»، اضافة إلى ارتباطه بمنظمة «الهاغاناه». في أيار ١٩٤٣، وبعد ثلاثة اشهر من استئناف الدائرة العربية في الهستدروت لنشاطها، بادر الزناتي إلى تأسيس فرع لمنظمة «بباي» في القرية (عاقر) حيث تجمع حوله مجموعة مؤلفة من حوالي ٦٠ عاملاً سُجلوا كأعضاء في هذا الفرع، ثمانية منهم كانوا اعضاء في حزب «بوعلي تسيون – سمول». نجح الزناتي بالتعاون مع ثلاثة اعضاء آخرين من القرية في جمع تواقيع ١٨٦ شخصاً ليؤسس «جمعية العمل العربي في عاقر». عين الشيخ خالد مصطفى الخطيب رئيساً للجمعية، وعين عمر عبد الرحمن الزناتي نائباً له، والشيخ احمد حسن عيسى أميناً للصندوق. بعد ذلك قررت الجمعية اقامة جمعية استهلاكية مساهمة (تعاونية) وجمعت لهذا الغرض من كل عضو مبلغ ٥ ليرات فلسطينية مقابل كل سهم.

واجهت نشاطات عمر الزناتي معارضة من جانب نشطاء الحركة الوطنية الفلسطينية، وفي آب ١٩٤٨ تلقى رسالة من «مؤتمر العمال العرب» في يافا عرض عليه فيها فتح فرع لهذه المنظمة النقابية في عاقر. وعلى اثر عدم استجابته، استدعي الزناتي للمثول في مقر قيادة «منظمة الشباب» في يافا. ذهب الزناتي إلى هناك مصطحباً معه محمد اقليم ومحمود خميس النجار الذي كان مسؤولاً من طرف «منظمة الشباب» عن قرى عاقر، زرنوقة، المغار، القبيبة، بشيت ودمرة. في يافا أُتهم عمر الزناتي من قبل اعضاء «اللجنة العربية العليا» باقامة صلات مع اليهود وافشاء أسرار، لكن بعد نقاش مطول تراجع هؤلاء عن الاتهام الذي وجهوه له. علاوة على ذلك، فقد طلبوا منه الذهاب إلى تل أبيب لجمع معلومات عن اليهود، لكونه «يعرف المدينة جيداً ولديه اصدقاء يهود كثيرون، وعليه فان باستطاعته جلب معلومات ذات فائدة كبيرة». وعلى ما يبدو فقد أبدى عمر الزناتي

لقد كان كيبوتس «أخوة» في الواقع يتبع رجلاً واحداً يتعين على الجميع العمل وفق مشيئته وقراراته. ومن ناحية عملية فقد كان الزناتي السكرتير والمركز وأمين الصندوق ومنسق العمل في الكيبوتس، وتولت زوجاته جميع الأعمال المنزلية بما في ذلك الاعتناء بتربية الدجاج.
عملت في الكيبوتس ثلاث «مؤسسات» كيبوتسية فقط، وهي: الجمعية العامة والصندوق المشترك والمطبخ المشترك. وفي الواقع عقدت الاجتماعات العامة بشكل منتظم مرة كل أسبوع، كما أن حسن حجازي، من المجدل، وهو صديق «أب داود» (عمر الزناتي) واظب في الأشهر الأولى لإقامة الكيبوتس، على تسجيل محاضر الاجتماعات والجلسات على الرغم من أنه شخصياً لم يكن عضواً في الكيبوتس

استعداده للقيام بالمهمة، وذلك حتى يتمكن من الإفلات من قبضتهم بسلام [١٣].

عندما احتلت قوات الجيش الاسرائيلي «عاقر» هرب عمر الزناتي من القرية ووجد مأوى في منزل أحد معارفه المزارعين في كفار بيلو. وبسبب خشيته من الوقوع في قبضة الجيش المصري أو قبضة نشطاء الحركة الوطنية الفلسطينية، سارع الزناتي ليصطحب معه زوجته واولاده الصغار ولاذ بالفرار إلى المجدل. وعندما احتل الجيش الاسرائيلي المدينة حاول الزناتي الاتصال مع اصدقائه في الهستدروت وخاصة مع يعقوب كوهين، ولما أخفق هرب إلى غزة ليقع هناك في قبضه رجال الجماعات المسلحة التي زجته في السجن بتهمة التعاون مع اليهود. وبعد فترة قصيرة نجح بالخروج من السجن بمساعدة اصدقاء ووجد عملاً في مخيم اللاجئين الجديد، مخيم «النصيرات» بقطاع غزة.

في بداية العام ١٩٤٩ كان محمد علي عبدون منهمكاً في عمله في بيارة المزارع غدعون يلوبسكي في «نس تسيونا». عبدون كان لاجئاً من قرية «النبي روبين» التي قدم اليها في طفولته من مسقط رأسه في «أبو كبير» بمحافظة الشرقية في مصر. وقد أقام عبدون علاقات مع رجالات الهستدروت في اللد، والذين أتوا اليه في احد الأيام وطلبوا منه التسلل إلى قطاع غزة مع عبد، ابن عم عمر الزناتي، من أجل جلب الأخير إلى اسرائيل. اجتاز الاثنان الحدود إلى القطاع ووصلا إلى منزل عمر، وقالا له ان اليهود يطلبون منه القدوم إلى اسرائيل. لم يتردد عمر، بل سارع إلى عبور الحدود باتجاه المجدل التي كانت وقتئذ تحت السيطرة الاسرائيلية، وهناك انضم إلى جمعية الغزل والنسيج التعاونية التي أقامها يعقوب كوهن. وفي شهر آذار ١٩٤٩ توجه عمر إلى اللد مع مجموعة من النساجين. رحب يعقوب كوهين ورجالات الدائرة العربية في الهستدروت بعودة عمر الزناتي، وكذلك زعيما «بوعلي تسيون – سمول» موشيه آرم واسحق اسحاقي، اللذان وجدا فيه (أي عمر الزناتي) قائداً بإمكانه ان يجمع حوله اشخاصاً يشكلون قوة سياسية مساندة لمعسكر اليسار وحركة العمل. تولى يعقوب كوهين الزناتي برعايته وحصل له من حارس املاك الغائبين، كتعويض عن أراضيه التي فقدها في «عاقر»، على قطعة ارض في مدينة اللد تضم بيتاً عربياً مهجوراً احتوت باحته على بئر ماء ومعصرة زيتون قديمة.

تحول المكان خلال وقت قصير إلى مركز للنشاطات الاجتماعية والسياسية، واصبح عمر الزناتي ناشطاً في لجنة عمال معسكر العمل (الـ«كامب») الذي أقيم في اللد من قبل الحكم العسكري والهستدروت لايواء العمال العرب الذين توافدوا من قرى المنطقة في أعقاب الحرب. جمع الزناتي حوله ثلة من العمال الذين كانوا يجتمعون في باحة منزله بعد انتهاء ساعات العمل. وقد اعتاد هؤلاء على تبادل أطراف الحديث حول مواضيع شتى شغلت اهتمامهم كالتنظيم المهني (النقابي) ومشكلة النقص في امدادات المياه بالاضافة إلى نشاطات اجتماعية. وكان في عداد المجتمعين بعض الشبان من قرية عاقر ممن داروا في فلك عمر، على الرغم من انه لم تجمعهم به في القرية علاقات خاصة او مميزة وهذا يرجع بشكل أساسي إلى فارق السن.

كان عمر يطرح خلال لقاءاته بالعمال فكرة اقامة الكيبوتس العربي. وقد اعتقد عمر، الذي تسنى له التعرف عن كثب على الاستيطان اليهودي على اختلاف اشكاله وتلاوينه، ان اقامة الكيبوتس العربي يمكن ان تشكل حلاً ملائماً للعمال الذين كانوا

يتجمعون في منطقة مدينة اللد. اضافة إلى ذلك فقد ادعى الزناتي أمام زملائه العرب بأن اليهود لم ينجحوا في السيطرة على فلسطين الا بفضل الكيبوتسات التي أقاموها، والدليل على ذلك هو ان هذه الكيبوتسات شكلت لاحقاً ملاذاً ومصدراً لمعيشة المهاجرين اليهود غير الشرعيين الذين ساعدتهم الكيبوتسات ايضاً في الحصول على الجنسية والمواطنة، وهذا ينطبق ايضاً على اللاجئين العرب الذين عادوا متسللين عبر الحدود إلى قراهم التي احتلتها اسرائيل.. فباستطاعة هؤلاء اللاجئين الحصول على الجنسية او المواطنة، كما حصل مع المهاجرين اليهود غير الشرعيين، بعد انخراطهم في حياة الكيبوتس (١٤).

يبدو ان عمر الزناتي قصد في كلامه هذا المهاجرين غير الشرعيين في موجة «الهجرة الثانية» الذين قدموا تسللاً عن طريق البحر في حين قام اعضاء الكيبوتسات بالتقاط الذين نجحوا منهم في النزول على شواطئ البلاد وباخفائهم عن أنظار البريطانيين.

حظي الزناتي بتأييد لفكرته سواء من جانب رجالات الدائرة العربية في الهستدروت، كدافيد عيون وع.م مول والياهو أغاسي ويعقوب كوهن، او من جانب العمال المتحدرين من قريته، هؤلاء العمال الذين كان همهم الأساسي العثور على مأوى ومكان عمل آمن، وافقوا على الانضمام اليه في فكرته على الرغم من ان غالبيتهم لم يفقهوا أي شيء عما يعنيه الكيبوتس. وبعدها اتخذ القرار بشأن اقامة الكيبوتس، تم تفكيك معسكر العمال في اللد، وقد سمح للعمال الذين اختاروا الانضمام كأعضاء في الكيبوتس بالاقامة في المنازل المهجورة التي صارت جزءاً من اراضي الكيبوتس ذاته. الاعضاء الذين شكلوا النواة المركزية للكيبوتس كانوا من ابناء قرية عاقر، ثم انضم اليهم عدد من ابناء القرى الاخرى التي نزح عنها سكانها خلال معارك حرب العام ١٩٤٨.

التركيبة، القيادة والنشاط

دشن الكيبوتس في آب ١٩٤٩ على مقربة من مطار اللد الذي أصبح لاحقاً مطار «بن غوريون». وقد وضعت تحت تصرف الكيبوتس أراضٍ تبلغ مساحتها حوالي ٣٠٠ دونم، وهي اليوم جزء من اراضي مستوطنة (موشاف) زيتان الزراعية، بالاضافة إلى ٧٠ دوماً بالقرب من جسر «جنداس» في المدخل الشمالي لمدينة اللد [١٥]. باشر الكيبوتس اعماله بشراء محراثين وعَجَلَة وبغلتين وبقرة واحدة ومائتي دجاجة، وحصل الكيبوتس على بذور واشتال من وزارة الزراعة وذلك عن طريق الشعبة الاقتصادية في الدائرة العربية بالهستدروت. وفي غضون أيام معدودة تمكن اعضاء الكيبوتس من حراثة وتهيئة الارض لزراعة بذور البطيخ والشمام والخضراوات الصيفية كالبندورة والذرة. جميع المنخرطين في عضوية الكيبوتس واصلوا العمل كأجيرين خارج الكيبوتس، وخاصة في بيارات ريشون لتيسون ونيس تسيونا ورحوبوت.

جرت الحياة في الكيبوتس بواسطة لجنة ترأسها عمر الزناتي، في حين تولى علي عيسى، وهو لاجئ من قرية «سبت» قرب سجرة، منصب سكرتير الكيبوتس، وعمل خميس زبدة من يافا طباخاً فيه. وبعد حوالي شهر حل مكانه عبد المعطي القيشاوي وهو لاجئ من قرية «قبيبة شاهين»، وقد عمل ايضاً، إلى جانب عمله كطباخ، نائباً لعمر الزناتي ومسؤولاً عن الاعضاء الذين زاولوا اعمالاً خارجية. حسين كلاب، الذي لقب بـ«البشيتي» نسبة إلى مسقط رأسه قرية «بشيت»، كان مسؤولاً عن المطبخ اضافة إلى عمله كسائق لجرار (تركتور) الكيبوتس.

بلغ عدد اعضاء الكيبوتس ٣٥ عضواً، وكانت المجموعة الأكبر وعددها احد عشر عضواً، من لاجئي قرية «عاقر»، مسقط رأس عمر الزناتي. المجموعة الثانية من حيث الكبر او الحجم كانت من لاجئي قرية «قبيبة شاهين» وقد بلغ عددها ستة اعضاء. وكان هناك ايضاً لاجئون قلائل من قرى «قطرا»، بشيت، بيت درس، صرفند العمار والنبي روبين، وهي قرى في المنطقة الجنوبية تعرضت للتدمير التام على يد اسرائيل اثناء وبعد الحرب، وهرب غالبية سكانها إلى قطاع غزة، هناك ثلاثة لاجئين فقط من المجدل انضموا إلى الكيبوتس، اما غالبية لاجئي المجدل الذين قدموا إلى اللد فقد فضلوا الانخراط في جمعية النساجين التعاونية [١٦] والتي اقيمت في مدينة اللد بمبادرة من يعقوب كوهن واعضاء الدائرة العربية في الهستدروت [١٧]. كذلك ضم الكيبوتس اربعة اعضاء قدموا من منطقة الجليل، احدهم لاجئ من قرية «سبت» المدمرة، واثنان من قرية «المشهد» والرابع من قرية «الرينة»، وكان هؤلاء الاربعة قد أتوا إلى اللد بحثاً عن عمل. واكتمل تشكيل

عكست إقامة كيبوتس منفصل للعرب توّجها حيال السكان العرب أخذ يتنامى في أوساط مؤسسات حركة العمل منذ أواخر الثلاثينيات، ويقضي بضرورة التطلع نحو إقامة فصل اقتصادي بين اليهود والعرب في «أرض إسرائيل». وقد وضعت الهستدروت، التي تأسست في العام ١٩٢٠، على رأس سلم أولوياتها ما وصف بـ«احتلال العمل»، وشكلت «الاشتراكية البنّاءة» منهج عمل سياسياً كانت الهستدروت أداة لتنميته وتطويره، لكن ذلك كان بالدرجة الأولى من أجل تحقيق أهداف قومية

المجموعة التي التفت حول ر الزناتي بانضمام شخص واحد من يافا واربعة «أجانب» من سورية والجزائر والمغرب ومصر وصلوا إلى البلاد في ظروف غير واضحة.

كانت غالبية اعضاء الكيبوتس قد تعرفت عن كثب على الواقع الذي ساد القطاع الزراعي اليهودي. فلغاية اندلاع الحرب كان هؤلاء وآباؤهم في عداد العاملين في المستوطنات الزراعية جنوب البلاد. وكان البعض منهم يجيدون اللغة العبرية ولغة «الايديش» كذلك كانت علاقاتهم في الغالب جيدة مع اليهود. ويشار إلى ان بعض اصحاب البيارات اليهود، مثل الياف زيتوف وغديون يلوبسكي من نيس تسيونا، والذين كانوا قد شغلوا لديهم طوال سنوات عديدة عمالاً عرباً من القرى القريبة، عرضوا بعدما نشبت الحرب تقديم العون والمساعدة لاعضاء الكيبوتس العربي. فالمزارع «زامير» من كفار بيلو قدم كما أسلفنا مأوى لعمر الزيناتي. فقد أرسل في الخامس من أيار ١٩٤٨ برقية إلى الدائرة العربية في الهستدروت كتب فيها ان عمر موجود منذ يومين في بيته بحالة صعبة وانه يريد من رجالات الدائرة القدوم على عجل ليقدموا له المساعدة اللازمة [١٨]. بعدما هدأت المعارك مباشرة قام اصحاب البيارات اليهود بتشغيل اللاجئين الذين وصلوا إلى اللد في بياراتهم ومن ضمنهم اولئك الذين اختاروا الانخراط في عضوية الكيبوتس. من هنا فقد اعتمد الكيبوتس منذ بداية طريقه على العمل الخارجي. فجميع اعضائه (اي كيبوتس «أحفاه»– أخوة) باستثناء عضو واحد فقط، عملوا خارج نطاق الكيبوتس.

حاول عمر الزناتي فرض سلطته على اعضاء الكيبوتس، حيث لم تعقد تقريباً اي اجتماعات منظمة للاعضاء، وبالتالي فقد تولى الزناتي ادارة شؤون الكيبوتس بصورة فردية. لقد انفرد في تحديد قواعد وانظمة الكيبوتس، وكان الأعضاء يوافقون بصورة عامة عى قراراته إما رغبة في تحاشي التصادم معه او من باب عدم الاكتراث واللامبالاة. ابراهيم جبر الذي يعد من النواة المؤسسة للكيبوتس أوضح ذلك بقوله ان عمراً كان اكبر سناً من باقي الاعضاء اضافة إلى كونه متزوجاً وله اسرة، في حين كان باقي الاعضاء عازبين ولا يفقهون شيئاً عن ظاهرة او معنى الكيبوتس. كان عمر، حسب قول ابراهيم، رجلاً عنيداً انفرد في اتخاذ القرارات في كل صغيرة وكبيرة، وبالرغم من انه كان أمياً لا يعرف القراءة او الكتابة، الاّ انه تمتع بفطنة وبوعي وخبرة في الحياة. وبدوره قال علي عيسى، الذي تولى تسجيل محاضر اجتماعات اعضاء الكيبوتس ان عمر كان يتمتع بشخصية كارازماتية وبقدرة مدهشة على التعبير.

واضاف: لقد بذل عمر جهوداً كبيرة في سبيل الحفاظ على الكيبوتس، وقد حاول اقناع الاعضاء بالتمسك بفكرة الكيبوتس وعدم تركه [١٩].

مصطفى رمضان لا يذكر أن أعضاء من كيبوتسات أخرى أتوا لتقديم الارشاد والمساعدة، كما أنه لا يذكر أن أعضاء من كيبوتس الـ«أخوة» قد ذهبوا إلى كيبوتس آخر لغرض تعلّم أنماط الحياة الكيبوتسية أو لاستكمال معارفهم في فروع الإدارة والاقتصاد. في المقابل يتذكر مصطفى جيداً الأشخاص الذين قاموا بزيارات للكيبوتس، خاصة زيارات يعقوب كوهن ودافيد عيون من الهستدروت وموشيه آرم وجورج نصار من «مبام».

وبحسب قوله، فقد كان أعضاء الكيبوتس واثقين من أن عمر الزناتي يستطيع بحكم علاقاته الوثيقة مع رجالات الدائرة العربية في الهستدروت ومع شخصيات قيادية في كتلة «بوعلي تيسون– سمول» في «مبام» الحصول على كل ما يلزم لتطور الكيبوتس ورفاهيته الاقتصادية.

كان الأعضاء على يقين بأن عمر لم يحصل على قطعة أرض وإذن بإقامة الكيبوتس إلاّ بفضل علاقاته الشخصية وارتباطاته

الحزبية، ولذلك أملوا في أن تساعدهم علاقات عمر في الحصول على عمل ومأوى.

وبالفعل قام عمر من حين إلى آخر بزيارة مكاتب اللجنة التنفيذية للهستدروت في تل أبيب حرصاً على صون وتنمية العلاقات مع دافيد عيون ويعقوب كوهن اللذين توليا متابعة الشؤون اليومية للكيبوتس.

في اجتماعات أعضاء الكيبوتس لم تطرح المسائل والمواضيع الأيديولوجية نهائياً على بساط البحث، ما عدا في الأحاديث النظرية التي كانت تجرى أثناء زيارة موشيه آرم واسحق إسحاقي (عضو «بوعلي تسيون–سمول» مبام) للكيبوتس.. لم يكن أعضاء الكيبوتس يشاركون بدور فعّال في النقاشات وإنما كانوا في الغالب مجرد مستمعين سلبيين. لقد أظهر أعضاء الكيبوتس، نظراً لانعدام الثقافة والوعي بفكرة الشراكة التي كانت غريبة عليهم، لا مبالاة تامة إزاء النقاشات التي تناولت المسائل الفكرية والنظرية مؤثرين التركيز خلال الاجتماعات العامة على ضمان وتأمين مصدر رزقهم، ومن هنا فقد اقتصرت مناقشاتهم على الشؤون المالية والتعهدات التي قطعت لهم، كتقديم العون الاقتصادي للكيبوتس من جانب المؤسسات الموطِّنة، التي لم يتم الوفاء بها حسب قولهم. كذلك انصبّت نقاشاتهم على مشاكل شخصية من قبيل مصاعب التأقلم التي واجهها الأعضاء.

والحال، فإنه لم يكن هناك إذن في كيبوتس «أخوة» تمييز واضح بين «مجال العمل» المتعلق أساساً بتنمية وتطوير الموارد الاقتصادية والبشرية و«مجال النشاط» الذي يتناول تنمية حياة الجماعة(٢٠). كذلك لم تكن هناك تحت تصرف الكيبوتس أية موارد اقتصادية، ما عدا الأراضي والأعمال الخارجية، ولهذا السبب لم تتكون أية هرمية في فروع التشغيل ولم تتطور رموز لوضع أو مكانة بين الأعضاء. فسكرتير الكيبوتس ظل نفس الشخص الذي ترأس وحده قمة الهرم. وعلى ما يبدو فإن شخصاً واحداً فقط، وهو حسين كلاب، الذي عمل سائقاً للجرار الزراعي ومسؤولاً عن مطبخ الكيبوتس، استطاع امتلاك مكانة معينة، وذلك لأنه كُلِّف من قبل الزناتي بتولي منصب محدد. من هنا ليس صدفة أن «كلاب» ظل العضو الأخير في الكيبوتس عدا عن عمر الزناتي.

لقد كان كيبوتس «أخوة» في الواقع يتبع رجلاً واحداً يتعين على الجميع العمل وفق مشيئته وقراراته. ومن ناحية عملية فقد كان الزناتي السكرتير والمركز وأمين الصندوق ومنسق العمل في الكيبوتس، وتولت زوجاته جميع الأعمال المنزلية بما في ذلك الاعتناء بتربية الدجاج.

عملت في الكيبوتس ثلاث «مؤسسات» كيبوتسية فقط، وهي: الجمعية العامة والصندوق المشترك والمطبخ المشترك. وفي الواقع عقدت الاجتماعات العامة بشكل منتظم مرة كل أسبوع، كما أن حسن حجازي، من المجدل، وهو صديق «أب داود» (عمر الزناتي) واظب في الأشهر الأولى لإقامة الكيبوتس، على تسجيل محاضر الاجتماعات والجلسات على الرغم من أنه شخصياً لم يكن عضواً في الكيبوتس. بعد ذلك تولى علي عيسى، كما أسلفنا هذه المهمة (تسجيل محاضر الاجتماعات)، وذلك بفضل معرفته للقراءة والكتابة. وعلى الرغم من أنه جرت عادة عمليات تصويت حول المواضيع التي طرحت على بساط البحث، إلاّ أن القرارات كانت تتخذ بصورة عامة من قبل الزناتي وحده ودون التشاور مع الأعضاء. وبحكم سطوته عليهم امتنع هؤلاء الأعضاء عن التصويت خلافاً لموقفه وارادته، بل وأعربوا علناً عن تأييدهم لموقفه، غير أنهم لم يتصرفوا عملياً بروح القرارات المعتمدة. ونظراً لأن غالبية الأعضاء كانوا يعملون خارج الكيبوتس اتخذ قراراً يلزم كل عضو بتحويل مبلغ معين من المال شهرياً إلى الصندوق المشترك لقاء وجبات الطعام في حجرة الطعام، غير أن هذا القرار لم ينفذ، وفي الاجتماعات العامة للكيبوتس واصل الأعضاء خوض النقاش حول مغزى القرار وسبل وضعه موضع التنفيذ.

واظب رجالات الدائرة العربية في الهستدروت، وخاصة دافيد عيون ويعقوب كوهين، على زيارة الكيبوتس ومراقبة ما يدور فيه من نشاطات زراعية واقتصادية، إضافة إلى المشاركة من حين إلى آخر في الاجتماعات العامة للأعضاء. وقد جرت بواسطة المسؤولين المذكورين الاتصالات مع الهستدروت ومع المؤسسات الاستيطانية ومن ناحية عملية أيضاً مع الوزارات والدوائر الحكومية والحكم العسكري. وكان دافيد عيون يصطحب أحياناً عمر الزناتي إلى كيبوتس «نعان» المجاور ليتلقى ارشادات في الشؤون الزراعية والاقتصادية. كذلك كان عيون وكوهن مسؤولين عن تقديم التقارير

أمام اللجنة التنفيذية للهستدروت عن الوضع الاقتصادي للكيبوتس، وأوضاع جمعيات تعاونية أخرى في الوسط العربي، والتي أقيمت في الفترة ذاتها بتشجيع من الدائرة العربية في الهستدروت.

جذور ومضامين

عكست إقامة كيبوتس منفصل للعرب توّجها حيال السكان العرب أخذ يتنامى في أوساط مؤسسات حركة العمل منذ أواخر الثلاثينيات، ويقضي بضرورة التطلع نحو إقامة فصل اقتصادي بين اليهود والعرب في «أرض إسرائيل». وقد وضعت الهستدروت، التي تأسست في العام ١٩٢٠، على رأس سلم أولوياتها ما وصف بـ«احتلال العمل»، وشكلت «الاشتراكية البنّاءة» منهج عمل سياسياً كانت الهستدروت أداة لتنميته وتطويره، لكن ذلك كان بالدرجة الأولى من أجل تحقيق أهداف قومية. ولأجل تحقيق فكرة الاشتراكية البنّاءة، التي كانت طيفاً محلياً -إسرائيلياً- للاشتراكية القومية، لجأ رجالات حركة العمل إلى استخدام فكرة التعاونيات أو المشاريع التعاونية. وكانت مشاريع الكيبوتس ومستوطنة العمال والتعاونية المدينية بمثابة أطر اجتماعية خاصة لحركة العمل. لقد اعتقد مؤسسو حركة العمل أن جهداً تعاونياً من شأنه أن يؤدي إلى توزيع متساوٍ للموارد وإلى تقليص الفجوات الاقتصادية بين فئات السكان. وكان رواج الفكرة ناتج عن العلاقات بين المهاجرين وبين الحركات التعاونية في البلدان التي قدموا منها[٢١].

مبنى أو هيكل سوق العمل اليهودي وفق ما صاغته الهستدروت أفضى إذن إلى فصل شبه تام بين القطاعين العربي واليهودي في الاقتصاد. ومن ناحية عملية بدأ الفصل في أعقاب الإضراب العام الذي أعلنه زعماء الحركة الوطنية الفلسطينية في العام ١٩٣٦ واستمر ستة أشهر وذلك كجزء من نضالهم ضد سلطة الانتداب البريطانية وضد الاستيطان اليهودي. وقد حلت أيدٍ عاملة يهودية في معظم أماكن العمل الشاغرة جرّاء الإضراب. وابتداء من العام ١٩٤٠ أصبح بالامكان التحدث عما اعتبره ليڤ غرينبرغ STATE APPARATUS DUA[L][٢٢].

لذلك عارضت الهستدروت التنظيم على أساس مكان العمل وذلك حتى لا ينجم وضع يكون فيه عمال يهود وعرب أعضاء في التنظيم نفسه (باستثناء القطاع الحكومي الانتدابي الذي عمل فيه اليهود والعرب معاً). وهكذا كانت الهستدروت في طليعة الجهات التي قادت إلى عملية الفصل والانعزال القومي وذلك منذ انطلاقتها. التعبير العملي الواضح لهذا التوجه تمثّل في إقامة «بريت بوعلي آرتس يسرائيل» («بباي») العام ١٩٢٧، والذي كان من المفروض أن يشكل إطاراً للتعاون الطبقي بين العمال اليهود والعمال العرب. وكان أحد أهداف هذا الإطار إحباط مساعي الشيوعيين للسيطرة على العمال العرب المنظمين.[٢٣] أديرت «بباي» بواسطة الدائرة العربية في الهستدروت وكان لها فروع في حيفا ويافا والقدس وطبريا وعكا وعاقر، ومن المرجح أنه كان هناك أعضاء وناشطون في صفوفها في قرى وبلدات عربية أخرى. هذا التنظيم لم يرق لمؤسسات وقادة الحركة الوطنية الفلسطينية، ولذلك سعوا إلى كبح تحركاته وأنشطته. وعلى ما يبدو كان لديهم أساس قوي للاعتقاد بأن أعضاء «بباي» يساعدون أيضاً في جمع معلومات استخبارية لصالح أجهزة مخابرات محلية تعمل لحساب اليهود.[٢٤] في شباط ١٩٤٣ استأنفت الدائرة العربية في الهستدروت نشاطها بعد توقف دام نحو خمس سنوات (منذ العام ١٩٣٩)، في أعقاب العصيان العربي، وجاء ذلك على ما يبدو بسبب تخوف الهستدروت من اشتداد ساعد النقابات العمالية العربية[٢٥].

ظهر جورج نصار للمرة الأولى في المسرح السياسي خلال المؤتمر الثالث للهستدروت والذي عقد في العام ١٩٢٧. فقد شارك كممثل لـ ٦٥ عاملاً عربياً من يافا وأعرب عن تأييده لموقف «بو علي تسيون – سمول» الداعي إلى ضم عمال عرب للهستدروت. في العام ١٩٢٩، وتحت وطأة الانطباع القاسي الذي خلّفته أحداث (صدامات) العام المذكور عمل جورج نصار مع موشيه آرم ومع أعضاء في تنظيم «تحالف السلام – بريت شالوم» في نطاق مجموعة أطلق عليها «أخوة العمال» وقد دعت هذه المجموعة إلى تحويل الهستدروت إلى منظمة مشتركة لليهود والعرب. كان جورج نصار وأعضاء مجموعته التي ضمت في شكل أساس أقاربه وأفراد عائلته كالأخوين سليم وإميل وخميس عربيد، ناشطين في جمعية لمساعدة المتضررين من الفاشية واللاسامية،

لم يهضم أعضاء «أخوة» فكرة الكيبوتس في حد ذاتها إلاّ بشقّ الأنفس. خلال الأحاديث التي أجراها معهم أعضاء الدائرة العربية في الهستدروت حول موضوع المساواة، طرح أعضاء الكيبوتس العربي على بساط البحث والنقاش مسألة اللامساواة المتبعة بين اليهود والعرب. وكانت حجتهم أن من الأفضل حل المشاكل الناجمة عن هذه اللامساواة قبل مطالبتهم بالتصرف والسلوك حسب ما هو متبع في الكيبوتسات اليهودية. ورفض أعضاء «أخوة» قبول الإدعاء القائل بأن الإطار الكيبوتسي، الذي اختاروه أو وافقوا عليه وسط تردد وارتياب وشكوك، سوف يحقق فكرة المساواة اليهودية ـ العربية في اسرائيل. لقد تعاطوا مع الكيبوتس الذي عاشوا فيه كإطار تنظيمي اقترحته الهستدروت رغبة منها في مساعدة عمر الزناتي بصفة شخصية. وعليه، نظروا إلى الكيبوتس باعتباره اطاراً يتيح بالدرجة الأولى الحصول على امتيازات مادية.

أقيمت في «أرض إسرائيل» بمبادرة «بو علي تسيون – سمول» (جناح آرم ورفالكس – نير)[٢٦]. وفي الثلاثينيات عمل نصار من أجل تأسس فروع لـ «بباي» في بعض القرى والمدن العربية وقد نجح في ذلك في عاقر ويافا. في فرع «بباي» في عاقر، والذي ترأسه عمر الزناتي، تبلورت نواة أعضاء الكيبوتس العربي العتيد، ففي هذا الفرع تشرّب الأعضاء أفكار التعاون مع مجتمع الاستيطان اليهودي وكذا الرغبة بمضاهاته في الإنجازات.

في الثاني من تشرين الثاني ١٩٤٣ جرى في مكاتب الدائرة العربية حديث، من ضمن سلسلة طويلة من الأحاديث، مع جورج نصار وزملائه في فرع «بو علي تسيون – سمول». إلياهو أغاسي شرح للحضور ماهية «بباي» التنظيمية والأيديولوجية والمصاعب الكامنة في التعاون بين العامل العربي ونظيره اليهودي. المشاركون العرب في اللقاء طرحوا تساؤلات بشأن سلوك مديري العمل العبري ينطبق عليهم أيضاً. وكان سبب هذا التساؤل رفض رجالات الدائرة العربية في الهستدروت تخصيص مكان عمل لأحد هؤلاء الحضور العرب. كذلك تساءلوا بالنسبة لمستقبل منظمة «بباي». وقد لخص الذين دوّنوا التقرير عن اللقاء مجرياته على النحو التالي: «تحدث أغاسي عن العمل الرخيص المستغل وعن مساواة العامل العربي في الأجور. جورج نصار أضاف من جهته تفسيراً حول العمل العبري محاولاً تبهيت الاصطلاح وحصر معناه الأساسي في معارضة العمل الرخيص. كان الحديث صريحاً وواضحاً ومثمراً. هذا الجمهور – الأعضاء العرب في «بوعلي تسيون» يترك انطباعاً جيداً في الظاهر. أما قيمتهم كعمال واعين فهذا أمر ما زال بحاجة للتفحُّص والتمحيص. [في هذه الأثناء] سوف ينضمون جميعاً إلى تحالف (عمال أرض إسرائيل)»[٢٧].

كان جورج نصار مرتبطاً بمنظمات عمالية أخرى نشطت في أوساط السكان العرب مثل: «العصبة للتقارب والتعاون بين اليهود والعرب» و«الجماعات العربية المنظمة بواسطة حزب عمال فلسطين – بوعالي صهيون». كان نصار ناشطاً بصورة اساسية في «السرايا العربية العاملة إلى جانب بوعالي تسيون – سمول» – مجموعة آرم. انصب نضال نصار ضمن هذه المجموعة على مطالبة الهستدروت بالسماح لأعضاء «السرايا» بالانضمام إلى «بريت بو عالي «آرتس يسرائيل» وإقامة فروع في المدن والقرى العربية وإيجاد أماكن عمل لأعضاء سرايا قدماء ممن يقاطعهم أصحاب عمل عرب (بسبب علاقاتهم مع اليهود)[٢٨]. وقد أدت علاقات نصار المستمرة مع مشروع الاستيطان اليهودي إلى اعتقاله على يد ناشطي الحركة الوطنية الفلسطينية في يافا ونقله في أيار العام ١٩٤٨ إلى معسكر أسرى تابع للجيش المصري في «أبو عجيلة» في سيناء. في عملية «حورب» وصل لواء «هرئيل» التابع لـ «البلماح» إلى «أبو عجيلة» واحتل المعسكر، وهناك عثر بني مرشك على جورج نصار فأخبر الجنود بأنه يعرف هذا الشخص وهكذا جرى إطلاق سراحه[٢٩].

كان جورج نصار، كما يبدو، يمتلك تأثيراً كبيراً على الأعضاء العرب في «بو عالي تسيون – سمول» والذين انضم معظمهم للحزب بتأثير منه. المصلحة الرئيسية لنصار وزملائه تمثلت في الحصول، بمساعدة علاقات نصار مع الدوائر اليهودية، على أماكن عمل والسعي بشكل أساسي نحو دفع الهستدروت لمحاربة العمل الرخيص وغير المنظم.

ظل كيبوتس «حتصور» مصراً على رفضه إرسال مرشد لكيبوتس «أخوة» موضحاً أن هناك على ما يبدو تقديرات مختلفة بينهم وبين سكرتاريا الكيبوتس القطري فيما يتعلق بمهمة مرشد لكيبوتس عربي مبتدئ ومن هنا كان الرد الذي كتبوه. وعلى أية حال فإن الكيبوتس لا يرى نفسه مهيئا في تلك الفترة لفرز عضو آخر لنشاطات عامة «لمدة يوم واحد على الأقل في الأسبوع»(٤٧)

رجالات الدائرة العربية في الهستدروت وقادة «بو عالي تسيون – سمول» علّقوا آمالاً كثيرة على جورج نصار في أن يتمكن من المساهمة في زيادة عدد الأعضاء العرب في الحزب. وقد استعانوا به لاحقاً في دفع مبادرة تأسيس الكيبوتس العربي.

موشيه آرم واسحق اسحاقي عضوا كتلة «بو عالي تسيون – سمول» والتي كانت في ذلك الوقت جزءاً من كتلة «أحدوت هعفودا» داخل «مبام»، حملا إلى كيبوتس «أخوة» الشحنة الأيديولوجية، أما جورج نصار فحمل معه العلاقات الراسخة والوطيدة التي احتفظ بها مع عمر الزناتي وأعضاء «بباي» العرب الذين نجح عمر في جمعهم حوله. وقد شكل هؤلاء نواة الداعمين والمؤيدين لفكرة الكيبوتس. موشيه آرم واسحق اسحاقي من قادة «بو عالي تسيون – سمول» في «مبام» اجتمعا مراراً مع أعضاء المجموعة وعقدا في باحة منزل عمر الزناتي لقاءات شارك فيها ٥٠ شخصاً بالمعدل. وقد عملا بالتعاون مع يعقوب كوهين، من الدائرة العربية في الهستدروت، من أجل شرح مبادئ المساعدة والتعاون المتبادل لأعضاء الكيبوتس، وسط طرح نموذج صندوق المرضى (كوبات حوليم) كمثال على هذه المبادئ، التي تعني فيما تعني وجوب مساعدة الأقوياء للضعفاء.

وقد انضم إليهم جورج نصار أيضاً في «حملات الاقناع» هذه، فيما قامت الهستدروت بتنظيم جولات وزيارات لأعضاء الكيبوتس إلى كيبوتسات أخرى مثل «روحما» و«ناعان» وذلك لغرض الاستفادة والتعرف عن قرب على الحياة التعاونية المشتركة.

كان اسحاقي من ناحية عملية الروح الحية والمحركة لفكرة كيبوتس «اخوة»، وهو من مواليد العام ١٩٠١، هاجر إلى البلاد من أوكرانيا العام ١٩٢١، والتحق بكتيبة العمل وحركة «بوعالي تسيون» الماركسية عند تأسيسها. وقد شارك منذ ذلك الوقت في تنظيم عمال عرب من الناصرة وحيفا ويافا.

في العام ١٩٢٢ أسس بالتعاون مع زئيف أبرموبيتس ومجموعة من المنشقين عن حركة «يكاف» الشيوعية منظمة «بوعالي تسيون الاشتراكيون الديمقراطيون». وفي العام ١٩٣٤ حدث انشقاق في حزب «بوعالي تسيون- سمول» أفضى إلى قيام جناح إسحاقي - أبرموبيس والمحافل الماركسية[٣٠]. في العام نفسه، أسس إسحاقي «الجمعية للتقارب اليهودي - العربي»، وفي العام ١٩٣٦ أقام في نطاق الهستدروت «صندوق الفلاحين العرب». وفي أوائل الأربعينيات أقام اللجنة للتعاون اليهودي - العربي وبادر الى تأسيس «الحركة للأخوة اليهودية - العربية».

وقد اهتم إسحاقي منذ الثلاثينيات بمشاكل «العامل والفلاح والاشتراكية» كما وصفها في مؤلفه «أحاديث للعمال والفلاحين»[٣١]. واقترح بناء مشاريع تعاونية في الزراعة والصناعة بمساعدة «التعاونية العاملة».

في تشرين الأول ١٩٤٨ اقترح إسحاقي «خطة عمل في الوسط العربي» استهدفت المساعدة في تطوير وتنمية فروع زراعية لتلبية الاستهلاك الذاتي وبيع الفائض. وكان من المفروض بمثل هذه المبادرة، حسب رأي اسحاقي، التخفيف من حدة المشاكل الاجتماعية والصعوبات الاقتصادية التي يعانيها السكان العرب. وقد هدف اقتراحه بشكل أساسي إلى حل مشكلات السكان العرب في مدن يافا، والرملة، واللد، وحيفا، والناصرة، والتي ظلت، في أعقاب الحرب، من دون قاعدة اقتصادية، وبحسب اعتقاده إسحاقي فإن الاستغلال الزراعي للأراضي والمساحات الشاغرة في المدن، في نطاق مجموعات تعاونية، كان بإمكانه أن يخفف من مشاكل العمل لدى السكان العرب[٣٢]. قبل نحو ثمانية أشهر من تأسيس كيبوتس «اخوة» في اللد، كان إسحاقي قد عمل من أجل تحقيق هذه الفكرة التي كان هو ذاته أحد الذين لعبوا دوراً في وضعها موضع التنفيذ.

مفهوم الكيبوتس في نظر أعضائه

لم يهضم أعضاء «أخوة» فكرة الكيبوتس في حد ذاتها إلاّ بشقّ الأنفس. خلال الأحاديث التي أجراها معهم أعضاء الدائرة العربية في الهستدروت حول موضوع المساواة، طرح أعضاء الكيبوتس العربي على بساط البحث والنقاش مسألة اللامساواة المتبعة بين اليهود والعرب. وكانت حجتهم أن من الأفضل حل المشاكل الناجمة عن هذه اللامساواة قبل مطالبتهم بالتصرف والسلوك حسب ما هو متبع في الكيبوتسات اليهودية. ورفض أعضاء «أخوة» قبول الإدعاء القائل بأن الإطار الكيبوتسي، الذي اختاروه أو وافقوا عليه وسط تردد وارتياب وشكوك، سوف يحقق فكرة المساواة اليهودية ـ العربية في اسرائيل. لقد تعاطوا مع الكيبوتس الذي عاشوا فيه كإطار تنظيمي اقترحته الهستدروت رغبة منها في مساعدة عمر الزناتي بصفة شخصية. وعليه، نظروا إلى الكيبوتس باعتباره اطاراً يتيح بالدرجة الأولى الحصول على امتيازات مادية.

لقد سادت منذ البداية حالة من انعدام الثقة الأساسية بين أعضاء الكيبوتس وبين عمر الزناتي، حيث دارت الشكوك حول الصندوق المشترك. في البداية تقرر أن يقوم جميع الأعضاء الذين يعملون في أعمال خارجية بتحويل أجور عملهم إلى الصندوق المشترك بحيث يستخدم الأعضاء الأموال المدخرة في شراء أسهم عقارية. لكن هذا الترتيب لم يدم سوى نحو ثلاثة أشهر فقط، وبالتالي تم التراجع عن فكرة الصندوق المشترك ليكتفي الأعضاء بصندوق لتمويل مستلزماتهم المعيشية. العمال الخارجيون الذين رفضوا ايداع أجور عملهم في الصندوق المشترك، قالوا إنه ليس من العدل أن يعملوا بكد من أجل معيشتهم بينما سكرتير الكيبوتس، عمر الزناتي لا يزاول أي عمل على الاطلاق، مكتفياً بالجلوس والتمتع بأموالهم.

ورغم أن الهستدروت وضعت بتصرفهم مدقق حسابات إلا أنهم لم يفهموا، كما قالوا، أين اختفت الأموال التي كانوا يودعونها في الصندوق، وبالتالي فقد ألقوا اللوم على سكرتير الكيبوتس عمر (الزناتي). قالوا إنه يعيش ويثري على حسابهم، ولم تُجْد الايضاحات بأن هذه الأموال مخصصة لإدارة المطبخ ولشراء المواد الغذائية ولتطوير الكيبوتس. عضو الكيبوتس محمد علي عبدون، وهو لاجئ من قرية «النبي روبين»، ساهم في اخراج الزناتي من قطاع غزة، أودع جميع مدخولاته من عمله كعامل خارجي في بيارات المنطقة، في الصندوق المشترك، وذلك طوال ثلاثة أشهر من انضمامه للكيبوتس. بعد هذه الفترة سأل عبدون الزناتي عن مصير الأموال التي يودعها الأعضاء في الصندوق. حسب ما قاله عبدون، وعد الزناتي بأنه سيستغلها في زراعة أشجار مثمرة وشراء جرارات زراعية واقامة أقفاص لتربية الدجاج، إلا أن شيئاً من ذلك لم يتحقق. علاوة على ذلك فقد كان يتعين على الأعضاء دفع ثمن الطعام بشكل منفصل. وقد أخبر عبدون رب عمله اليهودي بالأمر فنصحه الأخير بترك الكيبوتس وعدم الوثوق بالمسؤولين الذي جعلوا منه ومن زملائه أضحوكة[٣٣].

طالب أعضاء كيبوتس «أخوة» بأن يتساووا في نمط حياتهم مع كيبوتسات الوسط اليهودي، وقد تحدثوا في هذا الشأن مع يعقوب كوهن ودافيد عيون وموشيه آرم. كذلك طالب هؤلاء الأعضاء الذين كانوا لا يزالون يعيشون حياة العزوبية بضم فتيات عربيات للكيبوتس. حامد أبو رزق، وهو لاجئ من قرية «صرفند العمار»، وعضو في الكيبوتس، قال إن هذا الموضوع (جلب فتيات للكيبوتس..) شغل بال الأعضاء كثيراً[٣٤]. من جهته، ادعى الزناتي، الذي كان متزوجاً من امرأتين، بأنه لا يستطيع تجنيد فتيات لعضوية الكيبوتس، معللاً ذلك بقوله: «الأمر غير مقبول لدينا.. فأي أب يمكن أن يوافق على ارسال بنت عزباء للعيش في كيبوتس مع شبان؟!». غير أن أعضاء الكيبوتس ظلوا مصرّين على طلبهم معتقدين أن الأمر سيكون ممكناً إذا استطاعوا فقط جمع مبلغ ٥٠ ليرة فلسطينية، وهي قيمة المهر اللازم للزواج. بعد مرور حوالي السنة قرر اثنان من الأعضاء بعدما شعرا باليأس، ترك الكيبوتس حتى يتمكنا من الزواج وتكوين أسرة. فكيبوتس «أخوة» الذي كان مأهولاً بشبان عازبين بدا لهما بيئة غير ملائمة لنساء متزوجات[٣٥].

عضو الكيبوتس يوسف أبو مرسي، يعتقد من جهته أن كل موضوع الكيبوتس ما هو إلا خدعة. في معسكر العمال الذي أقامته سلطات الحكم العسكري الاسرائيلي بمساعدة الهستدروت، في شهر تشرين الثاني ١٩٤٨، تجمع عمال كثيرون كان كل

اللد حديثا: عرب على هامش الهامش

همهم كسب قوت معيشتهم. كان الكثيرون منهم من اللاجئين المشردين والمعدومين، لذلك، كانوا يأملون في الاستيلاء على أحد البيوت، المتروكة في المدينة. هذا الأمل راود أيضاً قسماً من الملتحقين بالكيبوتس العربي، مع العلم أن أعضاء الكيبوتس أقاموا في بيوت عربية متروكة، تحيط بباحة المنزل الذي أقام فيه عمر الزناتي، بمعدل شخصين الى ثلاثة في الغرفة الواحدة.

وحسب تقدير يوسف أبو مرسي فإن الزناتي لم تكن له سيطرة سوى على مجموعة مشردي قريته (عاقر)، بينما استمر أعضاء مجموعة مشردي قرية «قبيبة شاهين» التي انضمت للكيبوتس، بالعمل كأجراء في بيارات المنطقة، وبالتالي لم يذهبوا الى الكيبوتس إلا في حالات نادرة[٣٦]. وكحال الأعضاء الآخرين، لم يكن عبدون يعلم أو يدرك بأن الأموال (المودعة في الصندوق المشترك) كانت مخصصة لشراء أسهم في الكيبوتس، وذلك بسبب رفض الحركات الكيبوتسية استيعاب الكيبوتس العربي ضمن صفوفها.

حسين كلاب (البشيتي)، سائق التراكتور ومسؤول المطبخ، وثق بعمر الزناتي وأفعاله ولم تكن لديه أية شكاوى أو مآخذ عليه. فقد علمه عمر، كما قال، قيادة الجرار وحرث الأرض ولم يخدعه في أية مرة. وكان حسين، كما أسلفنا، آخر الأعضاء الذين بقوا في الكيبوتس مع عمر وزوجيه. لقد تأثر الآخرون، حسب قول حسين، بدعاية «اللدادوة» و«المجادلة» أعضاء تعاونية النسيج، والذين قالوا لأعضاء الكيبوتس بأن عمر يقوم باستغلالهم وانهم لن يجنوا فائدة من جهدهم وعملهم إذا استمروا في ايداع مالهم في عهدة عمر. وادعى هؤلاء أيضاً أن عمر الزناتي يقيم علاقات وثيقة مع اليهود وأنهم إذا بقوا معه فسوف يتهمون بعلاقات مماثلة. وهكذا تركت حملة الانتقادات ضد عمر وضد فكرة الكيبوتس أثرها، حيث راح الأعضاء يغادرون تدريجياً، وبعد مرور أقل من سنة على تأسيس الكيبوتس لم يبق فيه سوى نفر قليل من الأعضاء.

«بصورة عامة»، يقول علي عمر عيسى، سكرتير الكيبوتس ومدون تقارير اجتماعات الهيئة العامة، ملخصاً «بدأ الأعضاء يغادرون تدريجياً لأن فكرة الشراكة لم ترق لهم. لقد قالوا إنهم يريدون الكسب من عملهم لا أن يكونوا تابعين لأناس آخرين. آخر المتبقين في الكيبوتس كانوا علي بدوي وخليل أبو ليلى ومصطفى رمضان وحسين كلاب. كذلك ساهم التحريض من جانب مشردي المجدل وأهالي اللد الذين لم يبارحوا المدينة، دفع أعضاء الكيبوتس الى تركه. فقد قالوا إن عمر يختلس أموال الكيبوتس. علي عمر فكر بالبقاء، حيث مثل أمامه النجاح الذي حققته فكرة الكيبوتس لدى اليهود، وقد اعتزم الانتقال مع زملائه كمجموعة إلى أحد الكيبوتسات (اليهودية) غير أن مغادرة الأغلبية أحبطت مشاريعه[٣٧].

بذل موشيه آرم وزملاؤه أعضاء الدائرة العربية في الهستدروت وكذلك نشطاء «مبام» جهوداً كبيرة بغية اقناع رؤساء الحركات الكيبوتسية بضم الكيبوتس العربي في اللد الى صفوفها، لكن هؤلاء رفضوا الفكرة، الأمر الذي اضطر مؤسسي الكيبوتس

لتحويله الى «كيبوتس تعاوني مساهم» اشترى كل عضو فيه سهماً تأسيسياً. وقد سجل الكيبوتس كجمعية تعاونية مساهمة، ممتلكاتها مشتركة، أما المبالغ التي جمعت من شراء أسهم الأعضاء فقد استخدمت في تمويل شراء معدات وأدوات للعمل[٣٨].

من كيبوتس إلى مشروع تعاوني

أحدثت حرب العام ١٩٤٨ تغييراً فكرياً لدى حركات اليسار الاشتراكي اليهودي إزاء كل ما يتصل بالعلاقات الاقتصادية بين اليهود والعرب. فمن جهة، كان النمو الديمغرافي للسكان اليهود والذي ترافق مع موجات الهجرة، مصحوباً بطلب متزايد على الانتاج الزراعي واستغلال الأراضي الزراعية العربية المتروكة. من جهة أخرى، أدى انكماش التجمعات السكانية العربية داخل دولة اسرائيل وتركز قسم كبير من وسائل الانتاج الزراعي في أيد عربية، الى قيام محاولات من جانب معسكر اليسار وحركة العمل للدمج بين المصالح الاقتصادية وبين قيم المساواة. أحد التجليات البارزة لمثل هذا الدمج تمثل في الاطار التعاوني الذي بادرت إليه الهستدروت والذي تأسست في نطاقه سلسلة من الجمعيات التعاونية العربية والتي كان الكيبوتس العربي «أخوة» واحداً منها.

وترتسم من خلال تقارير «الشعبة الاقتصادية في الهستدروت» عن الاقتصاد العربي، صورة جزئية عن المكانة القانونية والوضع الاقتصادي لكيبوتس «أخوة». وقد ورد ذكر الكيبوتس للمرة الأولى في تقرير مؤرخ في ٢٥ كانون الأول ١٩٤٩ وجاء فيه:

«قائمة المشاريع التعاونية التي أقامتها الشعبة الاقتصادية وتم تسجيلها من قبل مسجل الجمعيات التعاونية:

ـ «أحفاه ـ أخوة»، وهو كيبوتس عمل زراعي في اللد، محدود الضمان.

ـ الجمعية التعاونية للنسيج في المجدل، أشكلون (عسقلان)، محدودة الضمان.

سجل كيبوتس «أخوة» في ٧ آب ١٩٤٩، عدد الأعضاء: ١٩، رأس المال المستثمر من قبل الأعضاء نقداً: ٢٠٠، قرض من صندوق العمال العرب: ٤٠٠ (صودق على مبلغ بقيمة ٦٧٥)».

ويتضح أن رجالات «مبام» والدائرة العربية في الهستدروت نجحوا في اللد في بناء شبكة علاقات ايجابية مع السكان العرب. وقد شكلت اقامة الكيبوتس العربي وجمعية النساجين التعاونية من المجدل (التي اشتهر سكانها بمهنة النسيج والحياكة) في مطلع العام ١٩٤٩ حجر الأساس في تلك النشاطات. ودفع نجاح هذه المشاريع عائلات أخرى نحو انشاء مشاريع تعاونية خاصة، استهدفت بشكل أساسي ضمان الممتلكات العقارية واستغلالها بصورة مجدية. عائلة «حسونة» على سبيل المثال، أقامت جمعية زراعية تعاونية كان بحوزتها مساحات واسعة من البيارات. كذلك فعلت أيضاً عائلة «النقيب».

كيبوتس «أخوة» أدرج في تقارير ونشرات قيادة الشعبة العربية في حزب «مبام» حول الوضع الاقتصادي في القطاع العربي ضمن مفهوم جمعيات تعاونية مدنية جنباً إلى جنب مع جمعية النسيج التعاونية في «مجدل عسقلان» م. ض، وجمعية «الحوت» التعاونية لصيد السمك في حيفا، وجمعية الدهان والطراشة في طرعان م. ض وغيرها[٣٩]. هذا الأمر يشير إلى البلبلة التي سادت فيما يتعلق بالتعريف الرسمي لمجموعة عمر الزناتي، لدرجة أن الأعضاء أنفسهم تعاطوا أحياناً مع الكيبوتس كما لو كان جمعية تعاونية.

فائق أبو منى، الذي أقام في اللد في تلك الفترة، لا يميز مطلقاً بين الكيبوتس وبين جمعية النسيج، ويضيف أنه تمت اقامة حانوتين للبقالة (المقصود جمعيات استهلاكية) كانا تابعين بدورهما أيضاً لـ «الجمعية التعاونية» وأن كل ذلك كان «مشروعاً من مشاريع الهستدروت»[٤٠].

لغاية تشرين الأول ١٩٥١ كان الكيبوتس لا يزال قائماً على الأرجح. فقد ورد في نشرة اجمالية عن وضع المشاريع الاقتصادية، أصدرتها الشعبة الاقتصادية التابعة للدائرة العربية في الهستدروت بتاريخ ٢٥ تشرين الأول ١٩٥١:

«الجمعية التعاونية (للحياكة والنسيج) تعمل بصورة منتظمة. قمنا بحل مشكلة توفير خيطان النسيج. بالنسبة لقضية عضو جمعية النسيج (دياب) الذي سحب سكيناً على عضو الكيبوتس، عينا لجنة تحكيم قضت من جانبها بأنه يتعين على دياب اخلاء شقة الكيبوتس والانتقال إلى غرفة أخرى توضع تحت تصرفه من قبل أعضاء الجمعية التعاونية خارج منطقة الكيبوتس. بالنسبة

لاقامة اللجنة من أجل البحث عن طريقة لدمج عمل جمعية النسيج مع الكيبوتس، فإن هذه اللجنة لم تتشكل بعد وذلك لسببين:

الأول: لم تتم تنقية الأجواء بين أعضاء الكيبوتس وأعضاء جمعية النسيج بشكل نهائي.

الثاني: علم من وزارة الزراعة أنه بوشر قبل شهر بانشاء البلدة العاملة [المقصود قرية عمل ـ «كفار عفودا»]. لذلك يجب تأجيل اقامة اللجنة إلى أن ينجلي الوضع»[٤١].

موسى أبو غزال أكد ما تضمنته النشرة وقال: إن الكيبوتس حسب ما يذكر، صمد لمدة سنتين تقريباً. وعندما غادر قسم من الأعضاء حاولت الهستدروت ضم أعضاء جمعية النسيج المجدلاوية إلى الكيبوتس، لكن هذه المحاولة باءت بالفشل بعدما شكا عمال النسيج بأنهم غير ملزمين بتحويل أرباح جمعيتهم التعاونية لتغطية خسائر الكيبوتس وعجز الزراعة[٤٢].

بعد مرور سنتين أو أكثر بقليل على اقامته حُلَّ الكيبوتس واقترح ع. الزناتي أن تقام بدلاً منه جمعية تعاونية. لقد مثلت أمامه المشاريع والجمعيات التعاونية التي أقامها في اللد مشردو المجدل، وعائلتا حسونة والنقيب. غالبية الأعضاء المتبقين آثروا المغادرة فيما قرر عدد قليل الانضمام إلى الجمعية التعاونية التي أقامها عمر، حيث اشتروا أسهماً فيها. حصل عمر على مساحة اضافية من الأرض للزراعة بالقرب من مستوطنة «زيتان»، كذلك قام بشراء جرار زراعي وعربة وأقام جمعية زراعية تعاونية على أراضي الكيبوتس، الذي وضعت معداته الزراعية أيضاً تحت تصرف الجمعية الجديدة. وكان في عداد أعضاء الجمعية كل من خليل أبو ليلى، ومحمد قدورة، ومصطفى رمضان، ومحيي الدين داود. غير أن هذه الجمعية حلت أيضاً بعد مرور سنة على اقامتها، لتبقى في حوزة ع. الزناتي وعائلته بيارة وقطعة أرض صغيرة.

كان ع. الزناتي يحلم بخوض معترك الحياة السياسية، اضافة إلى نشاطه في الكيبوتس. وقد تطلع ورغب في أن يتم تعيينه سكرتيراً لمجلس عمال اللد، لكنه لم ينجح في ذلك لكونه أمياً. معظم نشاطه السياسي جرى في نطاق حزب «مبام»، الذي قام بضمه إلى صفوفه ناشط الحزب جورج نصار الذي عمل وقتئذٍ في الشعبة الاقتصادية.

وكان عمر الزناتي أحد الموقعين على بيان أرسل إلى أعضاء المؤتمر الثالث لمجلس حزب العمال الموحد (مبام) في تشرين الثاني ١٩٤٩. كذلك كان من بين الموقعين على البيان كل من جورج نصار وسليم العرابيد. وقد أعرب هؤلاء في البيان عن تأييدهم للحزب وطالبوا بالانخراط فيه كأعضاء متساوين وسط معارضتهم لاقامة حزب عربي منفصل. وأشاروا الى أنه لا توجد لدى الجمهور العربي أي ميول لتأسيس مثل هذا الحزب منوهين إلى سلسلة من النشاطات المشتركة التي ساهموا فيها ومن بينها اقامة الكيبوتس العربي في اللد[٤٣].

حاول يعقوب كوهين استمالة ع. الزناتي إلى حزب «مباي» لكنه لم ينجح في ذلك سوى بعد حل الكيبوتس.

ساحة كيبوتس «أخوة» بقيت على حالها لغاية منتصف التسعينيات من القرن العشرين. وكان كل من يدخل إليها يجد نفسه فجأة وكأنه يلج إلى حقبة أخرى من التاريخ. أبناء عائلة الزناتي أقاموا حول الساحة التي تنتصب في وسطها شجرة كثيفة الأغصان.

البئر الموجودة في الساحة لم تعد صالحة منذ بضع سنوات، أما العربة التي كانت تجرها بغلة فقد ألقيت على مسطبة معصرة زيتون قديمة موجودة في طرف الساحة. حركة البناء والعمران في اللد تركت بدورها بصماتها على المحيط القريب، بعد أن هدمت بيوت اللد العربية العتيقة واحداً تلو الآخر، وشيدت مكانها بيوت جديدة باتت تطل على الساحة. الأثر الأخير الذي كان شاهداً على وجود الكيبوتس العربي في اللد اختفى مع اجلاء ونقل ابناء عائلة الزناتي إلى مساكن جديدة. أراضي الكيبوتس تقع اليوم ضمن حدود موشاف «زيتان»، هذا فيما لا يزال جسر «جنداس» الذي شيده السلطان بيبرس في القرن الخامس عشر، يخدم على أفضل وجه وسائط النقل التي تعبره عند المدخل الشمالي لمدينة اللد.

روابط وعلاقات

عمل كيبوتس «أخوة» تحت رعاية عدة جهات وهو ما أثار في حينه خلافات سياسية. كانت الشعبة الاقتصادية في الدائرة العربية بالهستدروت مسؤولة عن الشؤون الاقتصادية والإدارة اليومية في الكيبوتس، وكان ممثلو هذه الدائرة، يعقوب كوهين

السمات الاجتماعية والثقافية لـ«العربي» كما تظهر في تقرير يعقوب كوهن، تبدو كنقيض تام للصفات والمزايا المنسوبة للانسان العبري الطلائعي ولحركة الاستيطان الكيبوتسية. فالطليعي والكيبوتس يتسمان بالديناميكية الثورية وبالإيمان بامكانية تغيير الواقع حتى ولو بدت الأمور عديمة الأمل والجدوى. أما العربي فينظر إليه بعيون يهودية على أنه إنسان سلبي يفتقر إلى المبادرة والقدرة على العمل بصورة مستقلة.

وفيما يعيش الطليعي ضمن إطار جماعي وتكون تطلعاته كفرد محكومة أو خاضعة لأهداف ومصالح المجموعة، فإن العربي في المقابل لا يؤمن بالجهد الجماعي ولا يولي أهمية للعمل التعاوني والمبادرة الجماعية. فقيمة أو مبدأ التعاون والشراكة، يتجليان وفقاً لهذا الرأي، في إطار العشيرة أو الحامولة، بل ولا تتحقق في الغالب إلا في نطاق العلاقات العائلية.

وداقيد عيون والياهو أغاسي وآخرون من رجالات حزب «مباي». من جهة أخرى، كان موشيه آرم وإسحق إسحاقي محسوبين على كتلة «بوعالي تسيون ـ سمول» في حزب «مبام».

وجاء في بيان صادر عن «مباي» ـ قائمة «أ»، قائمة الهستدروت ـ وزع في اللد ويافا توطئة لانتخابات السلطات المحلية في العام ١٩٥٠:

«يتفاخر حزب «مبام» بأنه أقام مشروعاً رائعاً في اللد وهو عبارة عن جمعية تعاونيةعربية زراعية (كيبوتس). ولكن الحقيقة هي أن أعضاء الهستدروت و«بريت بوعالي يسرائيل» هم الذين أقاموا هذا المشروع».

وفي البرنامج الذي نشره «مبام» تمهيداً لتلك الانتخابات ذاتها، ذكر:

«نفذ «مبام» في اللد مشروعاً مهماً وهو تأسيس جمعية تعاونية زراعية (كيبوتس). خليل كركر، مرشح الحزب في القائمة الانتخابية في اللد يعتبر من مؤسسي الحركة ـ التعاونية في المدينة وهو سكرتير الجمعية التعاونية «هناك»[٤٤]. أهارون كوهن، رجل «مبام» وعضو كيبوتس «شاعر هعمقيم» اعتنى بدوره أيضاً، باسم سكرتاريا الكيبوتس القطري، بشؤون كيبوتس «أخوة» وبحث عن كيبوتس من كيبوتسات حركة «هشومير هتسعير» كي يقوم بتبني الكيبوتس العربي، لكنه أخفق في مسعاه. وقد توجه في هذا الصدد إلى كيبوتس «نحشونيم»، الذي أسسته نواة من المهاجرين (اليهود) من مصر، كي يرسل مرشداً إلى الكيبوتس العربي ليقدم العون والارشاد لمدة يوم أو يومين في الأسبوع، إلا أنه قوبل بالرفض بدعوى أنهم (أي في كيبوتس نحشونيم) سيوفدون أحد زملائهم في مهمة بالخارج وأنهم لا يستطيعون فرز عضو آخر للقيام بمهام خارج الكيبوتس[٤٥]. ثم توجه باسم سكرتاريا الكيبوتس القطري إلى كيبوتس «حتصور»، بنفس الطلب تقريباً.. وكان رد هذا الكيبوتس أنهم وبعد استيضاح ومناقشة الأمر مع الرفاق الذين يتحدثون اللغة العربية، توصلوا الى استنتاج بأنه لا يوجد لديهم زميل ملائم تمكنه درجة إلمامه باللغة العربية من إلقاء محاضرة على سبيل المثال، أمام جمهور.. وأن المعلومات الموجودة في حوزة السكرتاريا في هذا الشأن لم تكن دقيقة. غير أن سكرتاريا الكيبوتس القطري أصرّت وتوجهت مجدداً برسالة إلى الكيبوتس «حتصور» جاء فيها:

«المعلومات المتوفرة لدينا حول أنه يوجد في كيبوتسكم رفاق ملائمون للقيام بمهمة تقديم الإرشاد لكيبوتس «أخوة»، معلومات دقيقة وتأكدت مجدداً من قبل أعضاء دائرتنا العربية. نحن لا نقصد بطلبنا محاضراً وإنما نريد مرشداً يساند الكيبوتس بالمشورة والمساعدة والتوجيه.

عليكم ان تعيّنوا دون تأخير أحد الرفاق الموجودين لديكم للقيام بهذه المهمة. نرجوا أن تدركوا أيها الرفاق أهمية وضرورة وجود مرشد يساعد عمليا هذا الكيبوتس المبتدئ، خاصة وأننا لا نستطيع رفض طلب الرفاق العرب بدعوى البحث العقيم عن ضليعين باللغة العربية. طلبنا لا زال قائماً على حاله، ونرجو استجابتكم في أسرع وقت».

أهارون كوهين حدد في رسالة مفصلة مهام المرشد على النحو التالي:

أ- أن يتفحص جيداً الشؤون الاقتصادية والاجتماعية للمجموعة، وأن يرشد ويوجه الأعضاء في تنظيم حياتهم التعاونية المشتركة، والاهتمام بمتابعة تجنيد احتياطي (كان عدد الأعضاء

قد تقلص جداً في تلك الأثناء) من أعضاء الكتلة العربية في الحزب، ومعالجة شؤونهم في المؤسسات (كالمركز الزراعي ووزارة الزراعة وسلطات الأمن.. الخ).

ب- من المحبذ أن يتواجد المرشد في الشهر الأول أو في أول شهرين أطول فترة ممكنة في المكان وحتى أن يسكن هناك. بعد ذلك ستكون هناك حاجة لتواجده مدة نصف أسبوع على الأكثر».[٤٦].

ظل كيبوتس «حتصور» مصراً على رفضه إرسال مرشد لكيبوتس «أخوة» موضحاً أن هناك على ما يبدو تقديرات مختلفة بينهم وبين سكرتاريا الكيبوتس القطري فيما يتعلق بمهمة مرشد لكيبوتس عربي مبتدئ ومن هنا كان الرد الذي كتبوه. وعلى أية حال فإن الكيبوتس لا يرى نفسه مهيئا في تلك الفترة لفرز عضو آخر لنشاطات عامة «لمدة يوم واحد على الأقل في الأسبوع»[٤٧]

استمرت المكاتبات حتى نهاية حزيران ١٩٥٠، وبعد ذلك لم تعد هناك أية أصداء بشأن المساعي للعثور على مرشد في الكيبوتسات لكيبوتس «أخوة». فحتى كيبوتسات «هشومير هتسعير» التي كانت تعتبر قريبة في وجهات نظرها للأيديولوجية التي تقف وراء إقامة الكيبوتس العربي، رفضت عند الامتحان تقديم المساعدة له واستيعابه كعضو متساوٍ في الحقوق.

كذلك فإن كيبوتس «نعان»، المنتمي للحركة الكيبوتسية الموحدة، وكان أقرب الكيبوتسات إلى مدينة اللد، لم يأت بالفائدة المرجوة. كان الكثيرون من أعضاء هذا الكيبوتس قريبين في وجهات نظرهم من حزب «مبام» في ذلك الوقت، وقد انضموا في أعقاب الانشقاق الذي وقع في الحزب، إلى حزب «أحدوت هعڤودا». كان ثمة فرع ناشط وحيوي لحزب «مبام» في الكيبوتس (كيبوتس نعان)، لذلك كان من الطبيعي أن يتوجهوا إليه كي يساعد كيبوتس «أخوة» في الوقوف على قدميه. في غضون العام ١٩٥٠ تلقى ألون أهارونسون، سكرتير فرع «مبام» في كيبوتس «نعان» طلباً من سكرتارية الحزب بارسال أحد الأعضاء لمقابلة إسحق إسحاقي في تل أبيب. توجه أهارونسون إلى يعقوب تسور، وهو ناشط في فرع «مبام» بالكيبوتس، وطلب منه الذهاب إلى اللقاء الذي عقد في مكاتب اللجنة التنفيذية للهستدروت، وهناك قدم له شخصاً عربياً لا يذكر «تسور» اسمه، وربما كان هذا الشخص هو عمر الزناتي. استعرض إسحق إسحاقي أمام يعقوب تسور خطته لإقامة حركة كيبوتسية عربية تكون بمثابة جسر للتآخي بين الشعبين وللتعايش اليهودي-العربي، وأوضح اسحاقي أن الكيبوتس (العربي) الذي أقيم في اللد ما هو إلاّ بداية. أسهب إسحاقي في خطابه المفعم بالحماس الشديد، فظن تسور، الذي كان شاباً فتياً، أن إسحاقي رجل غير واقعي و«يحلق في الهواء». كان تسور يعتقد بأنه مطلع جيداً على واقع السكان العرب في قرى المنطقة ومدينة اللد، لا سيما وأنه شارك أيضاً في «حرب الاستقلال»-١٩٤٨-ضمن صفوف لواء هرئيل. لذلك اعتقد أن الفكرة التي طرحها إسحاقي غير قابلة للتنفيذ.

طلب إسحاقي مساعدة كيبوتس «نعان» لأعضاء كيبوتس «أخوة» في الميدان الفكري والنظري وفي مواضيع مهنية. عاد تسور إلى كيبوتسه لينقل اقتراح اسحاقي لسكرتير الكيبوتس «كفري». كان هذا الأخير من قدماء عناصر قوات «البالماح» ثم أصبح لاحقاً سكرتيراً لفرع «مبام» في تل أبيب. أعرب «كفري» عن تشككه إزاء إمكانية نجاح الفكرة المقترحة، لكنه أخذ على عاتقه متابعة الأمر. ومنذ ذلك الحين لم يجر أي تداول أو حديث عن الموضوع في كيبوتس «نعان»[٤٨].

الكيبوتس والعبرة

يمكن الوقوف على الصفات والمزايا الاجتماعية والثقافية التي عزاها الجانب اليهودي للإنسان العربي كفرد وكمجموع، والتي أعتبرت سبب فشل الكيبوتس العربي، من خلال تقرير كتبه يعقوب كوهين للدائرة العربية في الهستدروت في أعقاب زيارة قام بها لجمعية النسيج التعاونية التي أقامها في اللد.

«لقد اجتزنا مخاضات صعبة، لكن بالامكان إستخلاص نتائج وعبر ستكون معيناً في الجهود والنشاطات الجارية في صفوف العرب في المضمار التنظيمي-الاجتماعي وفي المجال الاقتصادي العربي الذي لم يخضع مطلقاً لأية عملية تأطير اجتماعية-تنظيمية.

الاقتصاد العربي يمتلئ انفعالاً وإعجاباً وحتى غيرة شديدة إزاء إنجازاتنا الاجتماعية والاقتصادية في البلاد، لكنه لم يفكر أبداً كيف استطعنا الوصول إلى ذلك؟ إنه لا يدرك بأن الإنجازات هي ثمرة دم وعرق عشرات السنين. إنه يظن أننا حققنا كل شيء

بواسطة الأموال وأنه إذا توفر لعرب اسرائيل المال اللازم للقيام بمشاريع قومية عامة فإنهم لن يحتاجوا لأية مساعدة متبادلة أو إخلاص وتفان وإيمان ونضال ومثابرة، من أجل المبادئ وما إلى ذلك. فالمال من وجهة نظرهم كفيل بتحقيق كل شيء. تلك هي نقطة الضعف، فالشيء المهم في إقامة المشاريع الاقتصادية والاجتماعية هو التطور الاجتماعي وبعد ذلك فقط يأتي دور المال.

هناك عدة: نواقص وعيوب يعاني منها العرب تشكل عقبة كأداء:

أ- انعدام الثقة المتبادلة فيما يتعلق بالنشاطات الاجتماعية. فالعربي مستعد لإقراض صديقه مبلغاً كبيراً من المال بصفة شخصية، لكن إذا اقترح عليه صديقه استثمار مبلغ بسيط من المال في مشروع تعاوني، مالي أو تجاري، تجده يرفض ويرتاب.

ب- ميل للإحسان والاتكالية، فإذا جاء شخص غريب لمساعدة العربي في تنظيم حياته على أساس شخصي بنّاء، فإنه ينظر إلى هذا الشخص كما لو أنه جاء للقيام بعمل خيري وعندئذٍ يفقد الجميع (أي العرب سواء كأفراد أو كجماعة) حسن المبادرة معتمدين أو متكلين على العمل الخيري المزمع.

جـ- انعدام الشعور بالاستقلالية الشخصية والاجتماعية على حدّ سواء. فإذا نجحت في تنظيم إطار اجتماعي- اقتصادي تجد أن أعضاءه غير مقتنعين بعد بأنه إطار مستقل غير مرتبط بك أو بالمؤسسة التي تعمل باسمها. فالعربي ما إنفك يعتقد بأنه بحاجة إلى أسياد.

د- غياب الاستعداد لتوظيف جهود لفترة طويلة في إقامة مشاريع عامة. فعندما يقوم العربي بزيارة لكيبوتس أو مشروع تعاوني متطور تجده يثني على النتائج، لكنه شخصياً يفتقر إلى النفس الطويل، فهو يبحث عن الكسب أو المردود السريع. ولعل ذلك ناتج أيضاً عن الانطباع الخاطئ بأن اليهود حققوا كل شيء بسهولة. أحد الفلاحين العرب من الجليل قال في خضم نقاش إنه يفضل تجشم مشاق الذهاب يومياً على قدميه إلى المدينة لبيع محصوله على المشاركة في جمعية تعاونية والانتظار لعدة سنوات ريثما تتحول لتصبح مثل (شركة) «تنوفا» (اليهودية).

هـ- لا يستطيع العرب التخلص من الميل نحو تمييز معارفهم المقربين من ذوي الشأن للأفضل. وإذا جرى تحديد قاعدة أو مبدأ ما ضمن إطار تنظيمي معين فلا بد أن تجد دوماً شواذ كثيرين! وعندما تستفسر عن السبب يقول المسؤول أن هذا إبن فلان... الخ»[٤٩].

السمات الاجتماعية والثقافية لـ«العربي» كما تظهر في تقرير يعقوب كوهن، تبدو كنقيض تام للصفات والمزايا المنسوبة للانسان العبري الطلائعي ولحركة الاستيطان الكيبوتسية. فالطليعي والكيبوتس يتسمان بالديناميكية الثورية وبالإيمان بامكانية تغيير الواقع حتى ولو بدت الأمور عديمة الأمل والجدوى. أما العربي فينظر إليه بعيون يهودية على أنه إنسان سلبي يفتقر إلى المبادرة والقدرة على العمل بصورة مستقلة.

وفيما يعيش الطليعي ضمن إطار جماعي وتكون تطلعاته كفرد محكومة أو خاضعة لأهداف ومصالح المجموعة، فإن العربي في المقابل لا يؤمن بالجهد الجماعي ولا يولي أهمية للعمل التعاوني والمبادرة الجماعية. فقيمة أو مبدأ التعاون والشراكة، يتجليان وفقاً لهذا الرأي، في إطار العشيرة أو الحامولة، بل ولا تتحقق في الغالب إلا في نطاق العلاقات العائلية.

علاوة على ذلك فإن الطليعي والكيبوتس يتحليان بنظرة مستقبلية تؤكد الاستعداد للتنازل عن المردود والمنفعة على المدى القصير، المنظور. في المقابل فإن العربي يبدو في صورة الإنسان الذي لا يتحرك إلا بدافع تحقيق أهداف قصيرة الأمد، كما أن نشاطه موجه لإحراز نتائج تعود عليه بفوائد فورية.

وأخيراً فإن الطليعي يعتبر ذاك الذي إختار الجماعة كبديل لإطار العائلة وصلات القربى، في حين يُفضل العربي، من الطراز الذي يرسمه يعقوب كوهن، هذين الإطارين الأخيرين على كل شكل من أشكال الارتباط الأخرى.

هذه الصفات الاجتماعية والثقافية الـ«عربية» تعتبر في نظر الجانب اليهودي صفات جوهرية، بمعنى سمات ثابتة، شبه غريزية، فطرية، متأصلة في الطابع والسلوك وتمثل «عقلية عربية» محصنة إزاء التغيير.

بيد أن محاولة تفسير فشل الكيبوتس العربي بصفات اجتماعية وثقافية تخص الجمهور والفرد العربيين لهي محاولة تولد تساؤلات اكثر مما هي تقدم إجابات. فالحركة الصهيونية كانت كحركة ثورية على قناعة راسخة بشأن القدرة على إحداث تغيير بعيد

الأثر في أنماط التفكير ووجهات النظر وفي مواقف وسلوك الأفراد والجماعات ودفعهم إلى العمل بما يتخطى ساحة الفعل القائمة. ولكن من أية بيئة اجتماعية وقيم ثقافية أتى أولئك الطلائعيون الذين كونوا الحركة الكيبوتسية ونهضوا بفكرة الحياة التعاونية المشتركة والعمل اليدوي والإكتفاء بشظف العيش إن لم يكن من نفس الخلفية التقليدية التي إتسمت بصفات ومزايا اجتماعية مشابهة لتلك التي وصفت بها شخصية العربي؟! ما الذي يجعل اليهودي، حسب نظرية الصهيونية الثورية، يستطيع بل ويتحتم عليه أن يتغير، بينما يبقى العربي كما لو كانت تأصلت لديه صفات جوهرية تحول دون قدرته على التلاؤم مع أطر اجتماعية جديدة وتجعل من الصعب عليه تمثل قيم وأنماط حياتية جديدة من نمط حياة جماعية ترتكز إلى مبادئ التعاون والمساواة؟!

لعل الإجابة على هذا السؤال تكمن في الاختيار الأيديولوجي الواعي لـ«حركة العمل»، أي الحزبين–أحدوت هعڤوداه وهبوعيل هتسعير–اللذين أسسا الهستدروت العامة للعمال وصاغا مضامينها السياسية والاقتصادية والاجتماعية. هذا الفهم يضع على رأس اهتماماته مصالح بناء الأمة وبلورة هوية انتمائية منفصلة، وذلك عوضاً عن بناء مجتمع يتخطى الهويات الدينية والانتماءات العرقية، مجتمع ينظر إلى كل عضو من أعضائه بصورة متساوية وبمعزل تام عن أصوله العرقية. لقد تحول إصلاح المجتمع إذن إلى أداة غايتها تحقيق تطلعات قومية حددت بصورة مطلقة حدود المجموع اليهودي في مواجهة المجموع العربي. وكما قال زئيف شترنهل فقد «فقدت الاشتراكية بهذه الطريقة مغزاها الأممي لتغدو أداة أساسية في عملية بناء الأمة... لا شك في أن المؤسسين كانوا سيشعرون بالابتهاج لتحقيق فكرة مجتمع المساواة فيما لو لم تظهر تناقضات بين الإشتراكية والقومية، بيد أنه لم يكن بالامكان التغلب على هذه التناقضات. وعلى الرغم من الادعاءات المتكررة، ولا سيما على لسان بن غوريون وبيرل كتسنلسون بأن مثل هذه التناقضات ليست قائمة على الإطلاق، فقد تمثل الحل بالتنازل عن الأهداف الأممية للاشتراكية لصالح الأهداف المحلية للقومية[٥٠]. إذاً فقد تحدد محك الانتماء للمجموع على أساس قومي–إثني وليس على أساس اجتماعي–طبقي. وطبقاً لهذا المحك فإن الهموم والمشكلات الاجتماعية لليهود ليست مطابقة للمشكلات الجماعية لدى العرب. وفي الحقيقة فإن الفصل والانقسام بين الجمعين أو الجمهورين اليهودي والعربي لم يتما بشكل مطلق، إذ سادت بين الجانبين نقاط احتكاك وتواصل نحت واقع التجزئة والانقسام لصالح مبادرات وحوارات عكست وجود سلسلة من الظواهر المستمدة من قواسم مشتركة متغيرة لمضامين قومية وقيم عالمية–أممية ذات توجه اشتراكي. بيد أن الوزن الفعلي للمبادرات التي سعت إلى تحقيق قيم المساواة بروح الاشتراكية ذات البعد أو المغزى الأممي، عوضاً عن القيم والأولويات القومية الضيقة، كان هزيلاً ولا يستحق الذكر.

هل يمكن أن تكون ثقافة ملكية الأرض لدى المجتمع العربي هي التي أدت لرفض فكرة الكيبوتس؟

يقول داني رابينوبيتس إن الحركة الصهيونية سلبت أراضي البلاد من أيدي العرب الفلسطينيين، ولذلك اعتقد زعماء الصهيونية بأنه يجب تعويضهم (أي أصحاب الأرض العرب) عن طريق جلب القيم العصرية والتقنية الزراعية الحديثة. ربما كان هذا الأمر سيفي بالغرض، غير أن قادة الجناح اليساري في حركة العمل (الصهيونية) أرادوا، ربما بدافع الشعور بالذنب، أن يقترحوا على الفلسطينيين الطريقة التعاونية العصرية للكيبوتس كبديل لطريقة التعاون القديمة التي كانت متبعة في القرية العربية، والتي كانت تتجلى في نمط الملكية المشتركة للأرض المشاع[٥١].

عندما سئل رفائيل بطاي عن سبب تهيب الفلسطينيين، المستغرب من وجهة نظره، من أفكار الكيبوتس، أجاب قائلاً: إن ميلهم المحافظ إلى عدم نقل نموذج الكيبوتس نابع من جهلهم بعالم القيم العميق والحقيقي الذي حرك الحركة الكيبوتسية..

علاوة على ذلك فقد ظن الفلسطينيون، أو مالوا إلى الاعتقاد بأن نموذج الكيبوتس ونموذج المشاع هما نفس الشيء[٥٢].

وفي الواقع فقد حاول الذين اقترحوا على العرب طريقة الكيبوتس أن يُصدِّروا لهم القيم العميقة الكامنة في أساس الطريقة، لكنهم أخطأوا في التمييز بين هذه القيم والمظاهر الخارجية لتلك الطريقة، وهو ما جعل الأعضاء العرب يحجمون عن تبني طريقة الكيبوتس. بناء على ذلك، وطبقاً لوجهة نظر «بطاي» يجب اعتبارهم–أي العرب– قصيري النظر بل وجاهلون برفضهم لهذه الفكرة أو الرؤيا الغربية المتحضرة.

لقد بقي أعضاء كيبوتس «أخوة» بمثابة «غرباء في المدينة الفاضلة» الاستيطانية، حسب الوصف الوارد في مقالة لـ يؤاب بيلد[٥٣]. فهم لم ينتموا للمجموع الكيبوتسي أو للمجموع الاسرائيلي، وهذا ينطبق بنفس الدرجة على عامة السكان العرب الذين بقوا في اسرائيل بعد حرب العام ١٩٤٨. معنى ذلك أنه «في الوقت الذي يتمتع فيه اليهود والعرب من ناحية رسمية بحقوق مدنية متساوية، فإن اليهود فقط يستطيعون تجسيد مواطنتهم فعلياً، كالمشاركة في تحديد الصالح الاجتماعي المشترك. ولكن الحقوق المدنية التي يتمتع بها الفلسطينيون مواطنو اسرائيل ليست عديمة المعنى أو الأهمية، فمنذ العام ١٩٤٨ أخذت هذه الحقوق تتبلور اكثر فأكثر لتشكل أسساً للمكانة المدنية للسكان العرب في اسرائيل. مع ذلك فإن هذه المكانة تحصر نضالاتهم في حدود الشرعية الصهيونية التي تعرف المواطنية الفلسطينية، بالضرورة، كمواطنة من الدرجة الثانية.[٥٤]

هذه الرؤية التي أضحت واحدة من أسس وأركان الثقافة السياسية الاسرائيلية، عكست أنماط تفكير سادت على أرض الواقع. وفيما يتعلق بحالة كيبوتس «أخوة»، فقد حافظ المهاجرون من الدول العربية أعضاء كيبوتسات حركة «هشومير هتسعير»، رغم وجود تقارب ثقافي بينهم وبين أعضاء الكيبوتس العربي، حافظوا على مسافة وامتنعوا عن مدّ يد العون والمساعدة لهذا الكيبوتس. لقد كانوا، في غمرة حماسهم للانتماء إلى المجموع القومي، على استعداد لمحو هويتهم الثقافية التي حملوها معهم من بلدانهم الأصلية، وقد سعى الصهيونيون الطلائعيون والمستوطنون، في خضم عملية إعادة تكوين أنفسهم، إلى التماثل والتواصل مع تلك الشخصية الميثولوجية التي رسمها موشيه شامير في كتابة «فصول أليك»، والتي تجسد صورة شاب ثوري طوباوي وُلد من البحر، خال من عيوب الماضي، ويرنو إلى مستقبل واعد آمن تنبثق فيه الأمة. لكن هذه الشخصية الطوباوية الخيالية مخصصة، حسبما اتضح، لليهود فقط.

أما العرب فقد ظلوا، من وجهة نظر رجالات حركة العمل العبرية، ملتصقين بأولوياتهم وخياراتهم العائلية وبعاداتهم وتقاليدهم المحافظة، لا يمتلكون أية فرصة أو أمل في أن يكونوا أعضاء وشركاء في مشروع جوهره «الخلاص القومي» على الرغم من أن الاستراتيجيات البيانية لهذا المشروع ظلت عالمية التوجه في الظاهر.

هذه الاستراتيجية رأت، في جانب منها، في الكيبوتس إطاراً جماعياً–جماهيرياً بوسعه ان يسمي نفسه، حسب وجهة النظر الاشتراكية الطوباوية «مجتمعاً صالحاً». فالإطار الذي ينتمي إليه الكيبوتس يتطلب من أعضائه طاقة كبيرة والتزاماً سياسياً وأخلاقياً، والمنتمون للكيبوتس ملتزمون ليس فقط بالفكرة وإنما أيضاً بطريقة حياة، وهو يحاكم– أي الكيبوتس–حسب الكيفية التي يطبق بها النظرية التي يستند إليها. لقد كان الكيبوتس بمثابة كومونة علمانية ذات رسالة أو مهمة معينة. وقد تطلع الكيبوتس دوماً إلى الانخراط في المجتمع وأن يكون جزءاً لا يتجزأ منه بل وأن يكون أداة للصهيونية وقائداً لنهج ثقافي وأيديولوجي، كما أنه لم يسع قط إلى الانغلاق والتقوقع على نفسه، على العكس فقد كانت أبوابه مشرعة للتنقل بحرية منه وإليه.

كان واضحاً أن الأعضاء العرب لم يجدوا ذلك. لقد اعتقدوا أن الكيبوتس يجب أن يكون إطاراً يضمن لكل واحد منهم الحصول على قوته من الخبز على الأقل، بالاضافة إلى امكانية العيش حسب عدد من القواعد المتبعة في المجتمع اليهودي. ربما أرادوا في البداية تبني فكرة الكيبوتس كنزوة يستمتعون من خلالها بحياة مشتركة، غير ملزمة في نهاية المطاف، حياة حافلة بالترف وامكانية اللهو مع الفتيات على عكس الإطار المحافظ الذي يضع حاجزاً يفصل بين الرجال والنساء في المجتمع العربي.

لقد اعتقدوا أن المؤسسة، الكيبوتس والمرتبطين به، لا يستطيعون فرض شيء على الفرد، ولدرجة الفوضوية كنظام اجتماعي. غير إن كيبوتس «أخوة» وآباءه الفكريين لم يتصرفوا وفق معايير المجتمع الصالح، بل حاولوا فرض وجهة نظرهم على مجموعة أخرى.

وقد حاول المبادرون لاقامة الكيبوتس، في سياق مساعيهم لجعله ملائما للعرب، فرض قيم ثقافة معينة على ثقافة أخرى بدعوى مساعدة الأخيرة في أن تكون مجتمعاً أفضل حسبما رأى الكيبوتس نفسه.

ببلوغرافيا بالعبرية

أ- مصادر أرشيفية:

- أرشيف «معهد لافون»: ملفات الدائرة العربية في الهستدروت.
- أرشيف «ياد يعاري»: أرشيف إسحق إسحاقي.
- أرشيف «ياد تبنكين»: ملفات «بوعالي تسيون-سمول».

ب- أبحاث:

- إبن شوشان، تسبي، «تاريخ حركة العمال في أرض اسرائيل» تل أبيب: عام عوفيد (١٩٦٦).
- إميتي، يوسي «تآخي الشعوب على المحك-«مبام» ١٩٤٨-١٩٥٤: مواقف حول مسألة عرب أرض اسرائيل» تل ابيب: تشريكوبر، ١٩٨٨.
- بن رفائيل، اليعزار، «التقدم في مواجهة المساواة: الطبقية والتغيير في الكيبوتس»-دفاتر البحث ١٢-١٣ تل ابيب: رموت، ١٩٨٦.
- و.. غيست «مفاهيم التغيير في الكيبوتس» رمات إفعال: ياد تبنكين، ١٩٩٣.
- بنزيمان، عوزي وعطا الله منصور «سكان ثانويون-مكانة عرب إسرائيل والسياسة تجاههم» تل ابيب: كيتر ١٩٩٢.
- برسلبسكي، يوسيف، «حركة العمال في أرض اسرائيل» تل ابيب: الكيبوتس الموحد (١٩٥٧).
- غورني، يوسيف، «أحدوت هعڤوداه ١٩١٩-١٩٣٠: الأسس الفكرية والنهج السياسي» تل ابيب ١٩٧٣.
-.. «المسألة العربية والمشكلة اليهودية» تل أبيب: عام عوفيد، ١٩٨٥.
- دانئيل، أبرهام «التشريع التعاوني في اسرائيل» (دفاتر البحث ٣) تل أبيب: معهد دراسة العمل والمجتمع، الهستدروت العامة وجامعة تل ابيب ١٩٧٥.
- «التعاونيات في إسرائيل-نجاحات وإخفاقات»- دفاتر البحث ١٤ تل أبيب: مكتبة العمال ومعهد غولدا مئير لأبحاث العمل والرفاه ١٩٨٩.
- فيغرت، غدعون «الحركة التعاونية في يهودا والسامرة وقطاع غزة»- القدس ١٩٧٠ (مقال غير منشور).
- طلمون جربر، يونينا «الفرد والمجتمع في الكيبوتس» القدس: مغنس ١٩٧٠.
- لوستيك، إبان «عرب في الدولة اليهودية» تل أبيب: «مفراش» ١٩٨٥.
- موريس، بني «ولادة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ١٩٤٧-١٩٤٩» تل ابيب: عام عوفيد ١٩٩١.
- مارغليت، الكنا «تشريح لليسار: بوعالي تسيون-سمول في أرض اسرائيل ١٩١٩-١٩٤٦» تل ابيب: ي.ل بيرتس ١٩٧٦.
- (محرر) «اليسار الموحد-النهج الاجتماعي لحزب مبام في بداية الدولة»-غبعات حبيبه: ياد يعاري ١٩٩١.
- كويش، ألون وسيلع، أبرهام، وغولان، أرنون «إحتلال اللد تموز١٩٤٨» تل أبيب: وزارة الدفاع ٢٠٠٠.
- روزوليو، داني «عوامل الأزمة والتغيير في النظام الكيبوتسي: تحليل» تل أبيب: معهد غولدا مئير لأبحاث العمل والرفاه، جامعة تل أبيب ١٩٩٥.
- روزنر، مناحيم، شمعون شور، موشيه تشيزيك، الكسندر إبنات «آفاق الاشتراكية الكيبوتسية: أوجه الشبه والاختلاف بين الحركات الكيبوتسية» دفاتر بحث ١٥، تل ابيب: مكتبة العمال ومعهد غولدا مئير ١٩٨٩.
- شتندل، أوري «عرب إسرائيل بين المطرقة والسندان» القدس: اكدمون ١٩٨٢.
- شابيرا، أنيطا «النضال العقيم: العمل العبري ١٩٢٩-١٩٣٩» تل ابيب: الكيبوتس الموحد ١٩٧٧.
- شابيرا، يوناتان «أحدوت هعڤوداه التاريخي» تل أبيب ١٩٧٥.

COHEN, ABNER, ARAB BORDER VILLAGES IN ISRAEL, MANCHESTER (UK): MANCHESTER UNIVERSITY PRESS, 1965.

COHEN, E., "THE STRUCTURAL TRANSFORMATION OF THE KIBBUTZ". IN: ZOLLSCHAN, G.K.& HIRSCH, W. (EDS.), SOCIAL CHANGE, NEW YORK: JOHN WILEY & SONS. ALSO IN: E: KRAUSZFELD (ED.), THE SOCI-

OLOGY OF THE KIBBUTZ, 1983.

EICKELMAN, DALE, THE MIDDLE EAST AND CENTRAL ASIA-AN ANTHROPOGICAL APPROACH, NEW JERSEY: PRENTICE HALL, 2002.

GRINBERG, LEV, SPLIT CORPORATISM IN ISRAEL, NEW YORK,

KIMMERLING, BARUCH AND JOEL MIGDA, PALESTINIANS, THE MAKING OF A PEOPLE, NEW YORK: THE FREE PRESS, 1993.

PERETZ, DON, ISRAEL AND THE PALESTINE ARABS, WASHINGTON D.C.: THE MIDDLE EAST INSTTUTE, 1958.

SCHWARTZ, WALTER, WALTER, THE ARABS IN ISRAEL, LONDON: FABER AND FABER, 1959.

هوامش

١ – انظر بتوسع حول إحتلال اللد لدى ألون كديش، ابرهام سيلع، أرنون غولان «احتلال اللد –تموز ١٩٤٨» تل أبيب: إصدار وزارة الدفاع (٢٠٠٠) بني موريس «ولادة مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ١٩٤٧ –١٩٤٩» تل أبيب: عام عوفيد، ١٩٩١ ص ٢٧٢ –٢٧٦، وكذلك لدى الحنان أورن «في الطريق إلى المدينة» تل أبيب: معرخوت ١٩٧٦.

٢ – شهادات موسى حسونة، ابو رجب حسونة، فائق أبو منى، س. منير، والذين كانوا شهود عيان وسماع لجزء من الأحداث. وردت تقارير مماثلة في كتاب «البلماح» ٥٦٥, ٨١٠, ٨٨٥. حول مسألة: هل طرد سكان اللد أم هربوا؟ أنظر لدى موريس ص ٢٧٧ –٢٨٣.

٣ – حول «بريت بوعالي آرتس يسرائيل» انظر بتوسع لدى يوءاب تدمور «بريت بوعالي آرتس يسرائيل (تحالف عمال أرض اسرائيل) ١٩٤٠ –١٩٤٧» دراسة للحصول على لقب جامعي، جامعة تل أبيب ١٩٨١، وكذلك لدى الكنا مارغليت، «تشريح لليسار: بوعالي تسيون سمول في أرض اسرائيل ١٩١٩ –١٩٤٦» تل ابيب: ي.ل بيرتس ١٩٧٦، يوسيف برسلبسكي «حركة العمال في أرض اسرائيل» تل ابيب: الكيبوتس الموحد ١٩٥٧، تسبي ابن شوشان «تاريخ حركة العمال في أرض اسرائيل» تل ابيب: عام عوفيد ١٩٦٦.

٤ – أرشيف «العمل» على اسم بنحاس لافون ملف ١٨١ –المعسكر في اللد.

٥ – نفس المصدر السابق، رسالة إلى الياهو أغاسي بتاريخ ١٦ كانون الثاني ١٩٤٩.

٦ – نفس المصدر، تقرير عن نقاش بتاريخ ٢٤ شباط ١٩٤٩. كان إسحاقي المؤدلج الذي وقف وراء فكرة الكيبوتس.

٧ – نفس المصدر، تقرير بتاريخ ٩ أيار ١٩٤٩. انظر عن جورج نصار.

٨ – رسالة كتبها أ. أغاسي، دائرة شؤون العامل العربي، موجهة للحاكم العسكري في الرملة –اللد بتاريخ ١١ أيار ١٩٤٩، نفس المصدر.

٩ – رسالة من اللجنة التنفيذية الى يونا شولمان من الدائرة العربية بتاريخ ١٢ أيار ١٩٤٩، نفس المصدر.

١٠ – رسالة من أ. أغاسي إلى مجلس عمال معسكر اللد بتاريخ ١٣ أيار، نفس المصدر.

١١ – نفس المصدر، كانت الرسالة موقعة من قبل راغب سليم سعد وفؤاد بياطري وقاسم أبو ربيع وموسى حنا صفوري.

١٢ – لواء غبعاتي، ص٥٢٣ –٥٢٤، أرشيف «هشومير هتسعير» (١) ٩٠ –٦٦. بروتوكول جلسة اللجنة السياسية لحزب «مبام» بتاريخ ١٥ حزيران ١٩٤٨ يشير بالذات إلى وجود خلاف وجدل. ليث (لوبا) لويطة من «أحدوت هعشوداه» قال: «مع كل الاحترام للرفيق عمر [الزناتي] ولكنني في وقت الحرب أفضل شمعون كوخ [أبيدان، قائد لواء غبعاتي]. أرشيف «هشومير هتسعير» ١٠ – ١٨ هذه الأقوال وردت على لسان م.آرم اثناء لقاء للنشطاء الأمنيين في «مبام» بتاريخ ٢٦ تموز ١٩٤٨. أنظر حول احتلال «عاقر» لدى بني موريس ص١٧٥.

١٣ – أرشيف حركة «العمل» IV–٢١٩، الدائرة العربية ملف ٦٣: عاقر، تقرير بتاريخ ١٩٤٣/٧/٢٦.

١٤ – مقابلة مع مصطفى رمضان في كانون الأول ١٩٩٢.

١٥ – مقابلة مع مصطفى رمضان في كانون الأول ١٩٩٢. مساحة المنطقة ليست واضحة. حسب قول موسى أبو غزال، عضو الكيبوتس، فإن الحديث يدور عن ٢٥٠ دونم.

سكرتير الكيبوتس، علي عمر عيسى، قال من جهته أنهم حصلوا على مساحة تتراوح بين ٤٠٠ و٥٠٠ دونم.

أما حسين البشيتي، سائق الجرار الزراعي والعضو الأخير الذي ترك الكيبوتس فقال أنه لم يكن هناك أكثر من ١٠٠ دونم. ابراهيم جبر بالغ حينما قال أن مساحة الأرض كانت حوالي ١٠٠٠ دونم، اذ لا تتوفر أوراق رسمية حول مساحة الأرض. في المقابل قال عبد الحميد أبو لبن، الذي لم يكن عضوا في الكيبوتس، لكنه كان مطلعاً على كل ما يحدث، إنه وضعت تحت تصرف الكيبوتس مساحة تبلغ ١٥٠ دونما لأغراض الزراعة.

١٦ – حول بنية الحركة التعاونية انظر دانيل أبرهام «التشريع التعاوني في اسرائيل» دفاتر بحث رقم ٣ تل ابيب: معهد ابحاث العمل والرفاه، الهستدروت العامة وجامعة تل ابيب ١٩٧٥ ص١٢ –٣١.

١٧ – عمل الكثيرون من أهالي «المجدل» في مهنة الحياكة والنسيج كما أنهم أقاموا جمعية تعاونية، للنسيج في المدينة عقب إحتلالها مباشرة من قبل الجيش الاسرائيلي. وعندما صدر قرار باخلاء المجدل اقترح يعقوب كوهن على أعضاء الجمعية الانتقال إلى اللد حتى يواصلوا هناك العمل في مهنتهم.

١٨ – أرشيف «العمل» IV-219، الدائرة العربية، ملف رقم ٦٣: عاقر.

١٩ – مقابلة مع ابراهيم جبر في كانون الأول ١٩٩٢، مقابلة مع علي عمر عيسى (أبو حسين) في ١٩ آذار ١٩٩٧.

٢٠ – حول هذا الموضوع بتوسع انظر «التقدم في مواجهة المساواة» ص٥٨ –٦٦.

٢١ – عن المشاريع التعاونية وتطورها في البلاد (أرض اسرائيل) انظر لدى نوح

أورين (هرتصوغ) «التعاونيات قولا وعملاً» تل أبيب: «تربوت فحينوخ» ١٩٦٦، وكذلك لدى:

H. Viteles, The Co-operative movement in the Holy Land, in: Roberto Bachi (ed), Studies in Economic and Social Sciences, Jerusalem, magnes, 1956, 53-103.

٢٢- Split Corporatism, 43-44

٢٣- شهادة آبا حوشي في أرشيف تاريخ الهاغاناه، شهادة رقم ٢٢٧١ بتاريخ ١٥ آذار ١٩٥٣. أنظر أيضاً لدى يوءاب غلبر: «جذور النرجس: الاستخبارات في المستوطنات اليهودية ١٩١٨-١٩٤٨» تل ابيب: وزارة الدفاع ١٩٩٢ ص٥٥ مقتبسة من رسالة ابرهام كلفون إلى اسحق بن تسبي بتاريخ ٢٣ حزيران ١٩٢٦ (ارشيف تاريخ الهاغاناه -ملف بني تسبي١).

٢٤- قام ابا حوشي، حسب إفادته شخصياً، بنشاطات في حيفا لجمع معلومات سياسية وعسكرية مستغلاً إطار «بريت بوعالي آرتس يسرائيل» كما قام بتجنيد عمال لهذا الإطار طالباً منهم الاعلان عن معارضتهم للاضراب في نطاق العصيان العربي ١٩٣٦-١٩٣٩ وتأييدهم لمشروع التقسيم. انظر غلبر ص١٧١.

٢٥- تدمور ٣٠-٣٢.

٢٦- تشريح لليسار ص ٢١٤, ٢٢٢.

٢٧- أرشيف «العمل» IV-219، الدائرة العربية، ملف ٦٣: عاقر.

٢٨- أرشيف يادتبنكين: ملفات «بوعالي تسيون -سمول» ميخال ٣٤ (٦) ملف ٢: الجمعية للتقارب والتعاون اليهودي -العربي، ١٩٤٠-١٩٤٢.

٢٩- مقابلة مع يعقوب تسور، عضو كيبوتس «نعان» في ٤ آذار ١٩٩٩.

٣٠- حول «بوعالي تسيون -سمول» أنظر بتوسع لدى الكنا مارغليت. الكنا مارغليت (محرر) «اليسار الموحد: النهج الاجتماعي لحزب «مبام» في بداية الدولة ١٩٤٥-١٩٤٨» مجموعة بحوث أ، غبعات حبيبه: ياد يعاري ١٩٩١.

٣١- انظر أرشيف «هشومير هتسعير»: أرشيف اسحق إسحاقي، (٢) ملف ٢ ج.

٣٢- نفس المصدر السابق ملف (٢) و.

٣٣- مقابلة مع محمد عبدون في ٢١ آذار ١٩٩٧، مقابلة مع علي عمر عيسى في ١٩ آذار ١٩٩٧.

٣٤- مقابلة مع حامد أبو رزق، شباط ٢٠٠٢.

٣٥- مقابلة مع عبد الحميد أبو لبن ومصطفى رمضان، كانون الأول ١٩٩٢.

٣٦- مقابلة مع يوسف أبو مرسي في ١٤ آذار ١٩٩٧.

٣٧- مقابلة مع حسين كلاب (البشيتي) في ١٤ آذار ١٩٩٧.

٣٨- مقابلة مع يعقوب كوهن، كانون الأول ١٩٩٢. وحسب قوله فقد اشترى كل عضو سهما وتم بواسطة جمع ثمن الأسهم شراء معدات عمل وجرار زراعي. لم يرد تأكيد لذلك في أقوال وإفادات أعضاء الكيبوتس الذين تمت مقابلتهم لغرض البحث.

٣٩- أرشيف «هشومير هتسعير» ملف (٥) د: «مشكلات اقتصادية -شؤون عرب أرض اسرائيل ١٩٤٨-١٩٥١، في ٢٥ كانون الأول ١٩٤٩ كانت هناك قيد التسجيل هيئة باسم جمعية تعاونية زراعية في اللد م.ض، ربما كان المقصود هو كيبوتس «أخوة» أو جمعية النسيج التعاونية لمشردي المجدل، والتي عملت في اللد. أنظر «اطار خطة العمل الاقتصادية في القرية العربية -أيلول ١٩٥٠» في ملف الشعبة العربية في «مبام»، ارشيف «هشومير هتسعير» ملف (٥) ح.

٤٠- مقابلة مع فائق أبو منى في ٢٤ تموز ١٩٩٧.

٤١- أرشيف «العمل» ملف ١٢٣ -تقارير اقتصادية. «البلدة العاملة» هي حي «الجواريش» الذي أقيم في ضواحي الرملة لحساب عائلات أصلها من ليبيا وكانت تقيم بالقرب من «غديرا»:

٤٢- مقابلة مع موسى ابو غزال في ١٩ آذار ١٩٩٧.

٤٣- أرشيف ياد تبنكين، ملف «بوعالي تسيون -سمول» ملف رقم (٢).

٤٤- ارشيف «هشومير هتسعير» ملف (٥) ح: قيادة الشعبة العربية في «مبام»، ١٩٥٠.

٤٥- أرشيف «هشومير هتسعير» شعبة رقم (٤) ملف (١): نحشونيم، رسالة من أهارون كوهن بتاريخ ٥ أيلول ١٩٥٠.

٤٦- رسالة من سكرتارية كيبوتس «شاعر هعمقيم» إلى سكرتارية كيبوتس «نحشونيم» بتاريخ ٥ أيلول ١٩٥٠، ارشيف «هشومير هتسعير» ملف (٥) ح.

٤٧- ارشيف «هشومير هتسعير» ملف ١٣ الجزء الثاني: حتسور، رسالة السكرتارية بتاريخ ١٩٥٠/٥/٢٥، ورسائل من كيبوتس حتسور. أنظر أصداء لهذه القضية في نشرة كيبوتس حتسور.

٤٨- مقابلة مع يعقوب تسور في ١٩٩٩/٣/٤.

٤٩- يعقوب كوهن «إستنتاجات من نشاطاتنا في منظمة تعاونية النسيج في المجدل وبروتوكول زيارة للتعاونية في ١٩٤٩/٧/٤»، أرشيف هشومير هتسعير ملف (٥) د.

٥٠- زئيف شترنهل «الاشتراكية الاسرائيلية بين الخطاب والأيديولوجية» -الفايم، مجلد (٩) ١٩٩٤ ص ١٧٣, ١٨٢.

٥١- رابينوبيتش، د «الانثروبولوجيا والفلسطينيون» رعنانا: مركز دراسة المجتمع العربي في اسرائيل ١٩٩٨, (٦٢) حول «المشاع» أنظر بتوسع لدى بولاك «حول تاريخ الاقتصاد الفلاحي» الاقتصاد التعاوني (١-٢) ١٩٣٩.

٥٢- Patai, R., "Musha'a Tenure and Co-operation in Palestine", American Anthropologist, Vol. 51, 1949, 436-445 لدى رابينوبيتش، ص٦٧-٦٨.

٥٣- يوءاب بيلد «غرباء في المدينة الفاضلة: مكانة المواطنين الفلسطينيين في إسرائيل». داخل: روت غبيزون ودفنا هاكر (محررات) «الشرخ اليهودي -العربي في اسرائيل: قراءة» القدس: المعهد الاسرائيلي للديمقراطية (٢٠٠٠) ص ٢١٣,٢٤٤.

٥٤- نفس المصدر السابق ص٢١٦.